

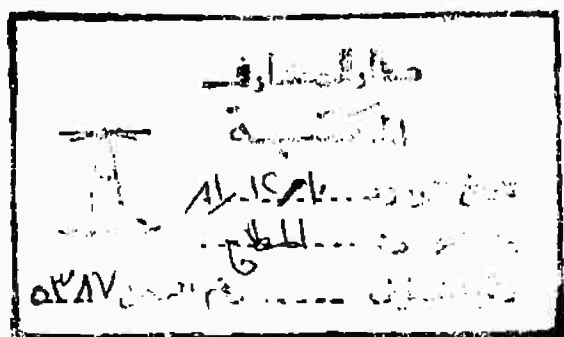
كنوز الحكمه

مختارات من كلام الحكماء والأئبياء

السيد أبو ضيف المديني

كنوز الحكمة

مختارات من كلام الحكماء والأنبياء



مكتبة المعارف

تصميم الغلاف : شريفة أبو سيف

المحتويات

الصفحة

٩	تقديم
١١	تمهيد : في الحكمة والعقيدة والأخلاق
٣٥	لقمان
٤١	هرمس
٤٧	زرادشت
٥٢	بوذا
٥٧	كونفوشيوس
٦١	هوميروس
٦٤	سولون
٦٧	زيتون
٧٠	بقراط
٧٤	ديمقريطس
٧٧	سقراط
٨٢	أفلاطون
٩٤	أرسطو
١٠٠	ديوجين
١٠٥	ثاوفراسطوس
١٠٧	إقليدس
١١٠	الإسكندر
١١٣	عبرة الحياة والموت
١١٥	بطلميموس
١١٧	المسيح عليه السلام
١٢٧	محمد صلى الله عليه وسلم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ ، وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ
أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ، وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ .
« قرآن كريم »

تقديم

ها هنا كنوز الحكمة ، فتعالوا أيها المحبون للحكمة ، نملأ أيدينا من الدر والياقوت والجوهر .

ها هنا أنهار ماء حي ، فتعالوا أيها الصادون ، نبلل صدى نفوسنا .

ها هنا أنهار ماء حي ، فهللوا أيها العطاش ، نرطب جفاف قلوبنا .

ها هنا معمودية الحكمة ، فهي تخفف من أوزارنا ، ونتطهر من أوضارنا .

ها هنا يتابع الحكمة ، فهي نشرب ونرتوي ، فبحق أقول لكم ما قال نبي الله عيسى بن مريم : إن من يشرب من هذا الماء لن يعطش إلى الأبد .

تمهيد

في الحكمة والعقيدة والأخلاق

يقول الرسول ﷺ « الحكمة ضالة المؤمن » ويقول الإمام عليّ كرم الله وجهه « أجمّوا هذه القلوب ، والمسا لها طرائف الحكمة ، فإن القلوب تملّ كما تملّ الأبدان » .

لما مفهوم الحكمة ؟ وما أقسامها ؟ وما مكانتها ؟ وما صلتها بالعقيدة والأخلاق ؟

الحكمة هي الفضيلة العليا التي يحقق بها الإنسان إنسانيته ، وبها يستشرف إلى عالم أرق وأسمى من هذا العالم الذي نعيش فيه .

وكفى بالحكمة شرفا أنها هبة الله يؤتيها من يشاء من عباده ، ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا .

وفي كل أمة ذات حضارة يظهر حكماء أو حكام من أبنائها بلخصوص الأنماط الخلقية لأمتهم ، ويرسمون لها طريق الخير والسعادة ، ويحددون المبادئ والقيم الفاضلة النبيلة .

وقد اشتهر من هؤلاء الحكماء كنفوشيوس في أمة الصين القديمة ، وزرادشت في فارس ، وبوذا عند الهند ، وسقراط وأفلاطون وأرسطوطاليس عند اليونان القدماء .

ولما كانت الحكمة بهذه المنزلة وهذا السمو ، وكان الحكماء فخر أمتهم
وشرفها ، وجب علينا أولاً أن نتفهم معنى الحكمة ، وأن نوضح عناصرها
وأقسامها .

مفهوم الحكمة :

إذا أردنا أن نلخص معنى الحكمة في عبارة موجزة قلنا : إنها معرفة الحق
وعمل الخير ، ولكن هذا التلخيص لا يغني عن التوضيح .

ولتوضيح معنى الحكمة نرجع إلى أصل اشتقاقها في اللغة ، فنجد في اللغة :
أحكم الأمر بمعنى ضبطه وأتقنه ، واستحكم الأمر صار متقناً متيناً مضبوطاً ،
ويقال : حكم الفرس أى جعل للجامة حكمة (بفتح الحاء والكاف) وهى
الحديدة التى توضع فى حنك الفرس من اللجام .

فالحكمة تفيد الضبط والإنقار والإحسان ، ثم استخدمت فى معنى ضبط
أحوال النفس وأهوائها ورغباتها ، قال الشاعر :

أبدأ بنفسك فأنهها عن غيِّها فإذا انتهت عنه فأنت حكيم

فالحكمة هى حفظ النفس من القبائح ، وتطهيرها من المنكرات أولاً ، ثم
التحلّى بالفضائل ، وقد فسرها صاحب القاموس بأنها العدل والإحسان والعلم
والحلم والنبوة والقرآن والإنجيل .

والدليل على أن الحكمة تتضمن الفضائل السلبية والفضائل الإيجابية قوله
سبحانه وتعالى بعد ذكر طائفة من الأوامر والنواهي :

(ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة)

وهذه هى الحكمة الخلقية .

وقد تكون الحكمة بمعنى الخدق والمهارة وحسن الرأى وإحكام التدبير والنظر في عواقب الأمور ، وهذه هى الحكمة العقلية ، وقد تكون الحكمة بمعنى المعرفة والعلم والخبرة والبحث عن الحقيقة وإدراك كل شىء على حقيقته ، أو كما يقول سقراط « تمام العلم وكمال المعرفة » وهذه هى الحكمة العلمية .

فالحكمة العلمية تؤخذ عن طريق العلم ، فإذا طبقت في مجالات السلوك والعمل كانت حكمة عملية ، أو حكمة خلقية .

والحكمة الخلقية هى ذروة الفضائل ، وقد عرفها الحكماء بأنها حال أو فضيلة فى النفس العاقلة ، بها تسوس القوة الغضبية والقوة الشهوية ، وتقدر حركاتها بالقدر الواجب فى الانقباض والانبساط ، وهى العلم بصواب الأفعال .
والحكمة الخلقية على هذا الرأى تتوسط بين رذيلتين هما : الخب والبلة ، فالأول طرف الإفراط والإسراف ، والثانى طرف التفريط والنقصان .

أما الخب فحال يكون فيها الإنسان ذا فكر وحيلة ودهاء ومكر ، فتتحرك القوة الغضبية والقوة الشهوية حركة زائدة عن الحد وتتجاوز المطلوب .

وأما البلة فحال للنفس تقصر فيها القوتان : الغضبية والشهوية عن القدر الواجب ، ويندرج تحت البلة ، الغمارة وهى قلة التجربة ، والحمق وهو فساد النظر فيما يؤدى إلى الغاية المطلوبة ، وبطء الفهم ، وقلة الإحاطة بصواب الأفعال .

الفرق بين الحكمة والفلسفة :

وينبغى هنا أن نبين مدى الاتفاق والاختلاف بين كلمتى : الحكمة والفلسفة فالحكمة - كما رأينا - كلمة عربية أصيلة ، أما كلمة الفلسفة فهى كلمة يونانية

عَرَّبها العرب أيام حضارتهم ونهضتهم في العصر العباسي حينما انفتحوا على الحضارات المختلفة ، ومنها الحضارة اليونانية القديمة .

وهي في الأصل اليوناني مؤلفة من كلمتين هما « فيلا » بمعنى محبة و« سوفيا » بمعنى الحكمة ، فالفلسفة معناها محبة الحكمة ، والفيلسوف معناه محب الحكمة ، أى من يجعل وكده في الحياة وغرضه من عمره الحكمة .
ويقال إن سقراط تخرج أن يسمى باسم الحكيم ، وقال : إن الحكيم هو الله تعالى ، أما هوميروس وسولون وسائر الشعراء والمشرعين والخطباء فأطلق عليهم أنهم فلاسفة أى محبون للحكمة .

ويقول الأستاذ الشيخ مصطفى عبد الرازق « كثيرا مانجد في كتب مؤلفي العربية وضع الحكمة والحكيم مكان الفلسفة والفيلسوف ، وبالعكس . وعبروا بحكماء الإسلام وفلاسفة الإسلام » .

ولكن الفلسفة قد تطورت في معانيها حتى أصبح مفهومها البحث النظرى المجرد ، وانفصلت في بعض الأحيان عن معناها الخلقى الذى هو جزء لا يتجزأ من مفهوم الحكمة .

وظلت كلمة الحكمة العربية تحافظ على المعنيين العلمى والخلقى ، ومازلنا بحسنا اللغوى نطلق على الطبيب لفظ « الحكيم » لأن الطبيب يعالج المرضى بالحكمة أى باللين والرفق واللطف .

وعلى كل حال فقد وجد الحكماء من قديم الزمان ، قبل أن يوجد الفلاسفة الذين أغرقوا في التصورات الذهنية المجردة ، لأن الحكمة تفكير أخلاقى ، والتفكير الأخلاقى سابق على التفكير العقلى ، وعلى هذا فالحكمة هي أول صورة

من صور التفكير ، العقلى الفلسفى المجرد عند الفلاسفة ولكنها حين تصدق بتأييد الشرع لها تكون هى الفلسفة العليا .

فلسفات ملحدة :

وعلى هذا فليس من الحكمة تلك الآراء المشنومة التى تنادى بأن أعلى مقاصد الإنسان أن يحقق الخير واللذة لنفسه ، دون النظر إلى ما يصيب الآخرين من أذى وضرر ، وأن غاية الإنسان أن يحقق السعادة لنفسه بإرضاء شهواته وملذاته ، ولن يتحقق هذا إلا بطريق القوة والغلبة وسحق الآخرين ، فالأقوى له الحق أن يستأثر ويحوز بقدر ما تحقق له قوته ، وتسمى هذا الحق بالحق الطبيعى ، وهى فلسفة أفرزتها مجتمعات مقفرة من القيم ، تنادى بأن البقاء للأقوى ، والقوة سند شرعى للحصول على المنافع .

أما العدل والعفة والرحمة والعطف فهى فى نظرهم رذائل إنسانية اخترعها الضعفاء ، ليغطوا بها ضعفهم أمام الأقوياء ، وهى فى نظرهم كلمات جوفاء ، وحيل لفظية يحمى بها الجبناء أنفسهم من بأس الأقوياء وسطوتهم . يقول أصحاب هذا المذهب :

« إن الأخلاق ليست إلا اختراع الضعفاء ، لكى يقيدوا بها سلطان الأقوياء ، فلنكن حربا على الأخلاق . يجب أن نخطم هذين القيدين تحطما : قيد العادل والظالم حسبما جاء فى القانون الموضوع ، ولتسخط فى نظرنا للأشياء ذلك الخير وذلك الشر . يجب أن نترك العنان لطبيعتنا المطلقة . يجب أن يكون لنا من الجسارة مابه نحيا حياة حرة سافرة ، وفى وضح النهار . وإذا ما اقتضى ذلك أن نسير فوق طريق من الجماجم ، فعلينا أن نسحقها بأقدامنا دون أن

يتحرك ضميرنا بلام ، يجب أن نكون لنا قلوب قاسية . يجب أن نرسل صرخة الحرب دون وجل أوند في وجه مصطلحات العالم ومصطلحات أخلاق القطيع .

هذه هي فلسفة الملحددين الماديين الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ، لا يؤمنون بإله قادر مسيطر على هذا الكون ، وماداموا لا يؤمنون بإله ، ولا يتدينون بدين ، ولا يؤمنون بجزاء ولا ثواب ولا عقاب ، فمن الطبيعي أن يسقطوا قواعد الأخلاق ، وينفوها من حياتهم .

إن قانون العدل قانون طبيعي ، فمن غير المعقول أن يستوى الطيب والخيث . ليس من المعقول أن يقدم ذو خلق قويم على عمل من أعمال البطولة والتضحية دون أن يتال على عمله أجرا أو مكافأة !

أوقد وجدنا عبثا في هذه الحياة ؟ !

وهل يمضى الظالم بظلمه دون عقاب ؟ !

هل خلود الروح مجرد صدى لآلامنا وآمالنا ، ومخاوفنا وأحلامنا ؟ !

هل إمكانية البعث أعجب من إمكانية الخلق والحياة ؟ !

أليس عجيبا أن خلقنا من نطفة ؟ !

أليس عجيبا هذا العقل الذي أودع فينا ؟ !

أليس عجيبا هذا النور في أبصارنا ؟ !

أليس عجيبا كل شيء تتأمله وتفكر فيه ؟ !

الله موجود ، والجزء ينتظرنا يوم الدين ، (يوم يقوم الناس لرب العالمين)

(يوم لا تملك نفس لنفس شيئا ، والأمر يومئذ لله) .

الخير والشر فطرة في الإنسان :

الخير هو كل عمل نافع مفيد يقدمه الإنسان ، فهو كلمة جامعة تندرج تحتها جميع الفضائل والأخلاق الطيبة الحميدة ، والشر ضد الخير ، وهو كل عمل من شأنه أن يؤذى ويضر ، وفكرة الخير والشر مركوزة في فطرة الإنسان ، وليست وليدة الفرائض الإنسانية كما يزعم الماديون من أنصار مذهب اللذة . والدليل على فطريتها أننا نجدها موجودة في جميع الأمم ، وليست مقصورة على الأمم الراقية المتحضرة ، بل إننا نجدها في الحيوان الأعجم الذي لا ينطق ولا يعقل .

أرأيت إلى القطة أو الكلب ، كيف يحتمل كل منها على اختطاف قطعة لحم في توجس وخفية ؟ ألا يدل هذا على وجود حاسة خلقية أو نوع من الشعور أنها يرتكبان إنمّا يستحقان عليه العقاب ؟

والإسلام يقرر وجود هذه الفكرة في طبيعة الإنسان ، ويحدثنا القرآن الكريم عن : « النفس المطمئنة » والنفس اللوامة « والنفس الأمارة بالسوء » وفي قصة ولدى آدم (هابيل وقابيل) ما يدل على معرفة الإنسان للخير والشر بأصل الفطرة والإلهام من الله تعالى ، فحينما همّ قابيل بقتل أخيه ، لم يقابله هابيل بالمثل ، بل قال له (لئن بسطت إليّ يدك لتقتلني ما أنا بياسط يدي إليك لأقتلك ، إني أخاف الله رب العالمين) ولكن قابيل الشرير لم يرتدع ، ونفذ جريمته المنكرة (فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله ، فأصبح من الخاسرين)

ويسمى العلماء هذه المعرفة الحاسة الأخلاقية أو الضمير ، وهو ما أطلق

عليه القرآن اسم « النفس اللوامة » يقول الله سبحانه وتعالى عن الإنسان (وهديناه التجدين) والنجدان هما نجد الخير ونجد الشر ، كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ حين سئل عنها .

ويقول تبارك اسمه (ونفس وماسواها . فألهمها فجورها وتقواها . قد أفلح من زكاها . وقد خاب من دساها) .

حقاً ، في الإنسان غريزتان هما مناط سلوكه وأفعاله الظاهرة التي تتولد من صورة نفسه الباطنة ، وهما غريزتا المحافظة على النفس والمحافظة على النوع ، اللتان يشترك فيهما الإنسان مع الحيوان ، ولكن الإنسان قد كرمه الله بالعقل الذي يضبط به وسائل إشباع هاتين الغريزتين ، فلا ينجح إلى المبالغة والإسراف في إرضائهما على حساب تعاسة الآخرين وشقايمهم .

من أجل هذا نشأت الحكومات ، وسنت القوانين للمحافظة على الحد الأدنى من الأخلاق ، وهو حد لا يستمر مجتمع في البقاء بدونه ، ولكن القوانين الوضعية لا تكفي في هذا الباب ، ولقد ثبت فشلها في إرساء دعائم الأخلاق ، فالقوانين - كما قيل - ما وضعت إلا لتُخرق ، فالقوانين يحتال عليها بشق الحيل ، إن القوانين لحتاج إلى حراس وشرطة ومحاكم وقضاة ، وإن القوانين لتنتهك في السر والخفاء . أما القوانين السماوية فإن الإنسان المؤمن يلتزم بها في السر والجهر على السواء ، لأن للدين سلطاناً وازعاً يقوم عليه ويحرسه حيث لا حرس ، ولا عيون تراه .

ونظرة إلى الوصايا التي جاء بها موسى ، والتعاليم الخلقية التي أتى بها عيسى ، ومكارم الأخلاق التي بعث محمد ﷺ ليتمها نظرة واحدة إلى هذه التعاليم السماوية تريننا كيف تتضافر الديانات السماوية وتتحد في ضرورة العزم

بالفضائل على مستوى الفرد ، وعلى مستوى الأمة ، وعلى مستوى الإنسانية بأسرها .

فالأديان السماوية جاءت بريق الإنسان إلى أعلى درجات السلم الأخلاقى .

الأخلاق فى الديانات :

فالتوراة - برغم تحريفها - توصينا بهذه الوصايا :

« أكرم أباك وأمك لكى تطول أيامك على الأرض » .

« لا تقتل ، لا تزنى ، لا تسرق ، لا تشهد على قريبك شهادة زور ، لا تشته

امراة قريبك ولا عبده ولا أمتة ولا ثوره ولا حماره ، ولا شيئا مما لقريبك » (١) .

« لا تزنكوا جورا فى القضاء ، لافى القياس ولا فى الوزن ولا فى الكيل » .

« إذا افتقر أخوك وقصرت يده عندك فاعضده غريبا أو مستوطنا فيعيش

معك ، لا تأخذ منه ربا ولا مراحجة ، بل اخش إهلك ، ونحبه كنفسك » .

ومن التعاليم التى جاءت بها الأناجيل المسيحية على لسان المسيح عليه

السلام :

« قد سمعتم أنه قيل للقديماء : لا تقتل ، ومن قتل يكون مستوجب الحكم ،

وأما أنا فأقول لكم : إن كل من يغضب على أخيه باطلا يكون مستوجب

الحكم » .

« قد سمعتم أنه قيل للقديماء : لا تزنى ، وأما أنا فأقول لكم :

إن كل من ينظر إلى امرأة ليشتبها فقد زنى بها فى قلبه » .

(١) من التحريف فى هذه الوصايا أنها جاءت مستوحاة من مفتريات اليهود على الله وأنهم شعب الله

المختار ، فكانت شريعة الله كما يزعمون - لجعل لهم مكانا عاليا على الناس .

« أيضا سمعتم أنه قيل للقدماء : لا تحنث ، بل أوف للرب أقسامك ، وأما أنا فأقول لكم : لا تحلفوا الئمة . . بل ليكن كلامكم نعم نعم لا لا . »
« سمعتم أنه قيل للقدماء عين بعين ، وسنٌ بسنٌ ، وأما أنا فأقول لكم : لا تقاوموا الشر ، بل من لطمك على خدك الأيمن ، فحوّل له الآخر أيضا ، ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضا . »

« سمعتم أنه قيل تحب قريبك ، وتبغض عدوك ، وأما أنا فأقول لكم : أحبوا أعداءكم ، باركوا لاعنيكم ، أحسنوا إلى مبغضيكم ، وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم »

« احترزوا من أن تصنعوا صدقتكم قدام الناس لكي ينظروكم ، وإلا فليس لكم أجر عند أبيكم الذي في السموات ، فمتى صنعت صدقة فلا تصوّت قدامك بالبوق كما يفعل المراءون في المجامع وفي الأزقة ، لكي يمجّدوا من الناس . الحق أقول لكم : إنهم قد استوفوا أجورهم ، وأما أنت فمتى صنعت صدقة فلا تعرف شيالك ما تفعل يمينك ، لكي تكون صدقتك في الخفاء ، فأبوك الذي في الخفاء هو يجازيك علانية . »

« ويل لكم أيها الكتبة الفريسيون المراءون ، لأنكم تعشرون النعنع والشبث والكمون ، وتركتم أثقل الناموس ، الحق والرحمة والإيمان . »

« ويل لكم أيها الكتبة الفريسيون المراءون ، لأنكم تشبهون قبورا مبيضة ، تظهر من خارج جميلة ، وهى من داخل مملوءة عظام أموات وكل نجاسة . »
« لا تكتزوا لكم كنوزا على الأرض ، حيث يفسد السوس والصدأ وحيث ينقب السارقون ويسرقون ، بل اكتزوا لكم كنوزا في السماء ، حيث لا يفسد سوس ولا صدأ ، وحيث لا ينقب سارقون ، ولا يسرقون ، لأنه حيث يكون

كترك هناك يكون قلبك أيضا » .

« لا يقدر أحد أن يخدم سيدين ، لأنه إما أن يبغض الواحد ويحب الآخر ، أو يلازم الواحد ويحتقر الآخر . لا تقدر أن تخدموا الله والمال » .

« الحق أقول لكم : إنه يعسر أن يدخل غنى إلى ملكوت السموات ، وأقول لكم أيضا : إن مرور جمل من ثقب إبرة أيسر من أن يدخل غنى إلى ملكوت الله »

« ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان » .

« لذلك أقول لكم . لا تهتموا لحياتكم بما تأكلون وبما تشربون ، ولا لأجسادكم بما تلبسون ، أليست الحياة أفضل من الطعام ، والجسد أفضل من اللباس ؟ انظروا إلى طيور السماء ، إنها لا تزرع ولا تحصد ، ولا تجمع إلى مخازن ، وأبوكم السماوى يقوتها ، ألسنتم أنتم بالحرى أفضل منها - ومن منكم إذا اهتم يقدر أن يزيد على قامته ذراعا واحدة ؟

ولماذا تهتمون باللباس - تأملوا زنابق الحقل كيف تنمو ؟ لاتعيب ولا تغزل ، ولكن أقول لكم : إنه ولا سليمان فى كل مجده كان يلبس كواحدة منها ، فإن كان عشب الحقل الذى يوجد اليوم ويطرح غدا فى الثور يلبسه الله هكذا ، أفليس بالحرى جدا أن يلبسكم أنتم يا قليلى الإيمان ؟ »

« لاتدينوا لكى لاتدانوا ، لأنكم بالدينونة التى بها تدينون تدانون ، وبالكيل الذى به تكيلون يكال لكم ، ولماذا تنظر القذى الذى فى عين أخيك ، وأما الخشبة التى فى عينك فلا تفتن لها »

« ادخلوا من الباب الضيق ، لأنه واسع الباب ، ورحب الطريق الذى يؤدى إلى الهلاك ، وكثيرون هم الذين يدخلون منه ! ما أضيق الباب وأكرب

الطريق الذى يؤدى إلى الحياة ! وقليلون هم الذين يجدونه ! »
« اجتهدوا أن تدخلوا من الباب الضيق ، فإنى أقول لكم : إن كثيرين سيطلبون أن يدخلوا ، ولا يقدرّون ! »
« من أراد أن يصير فيكم عظيما يكون لكم خادما ، ومن أراد أن يصير أولا يكون عبدا للجميع . »

« كل من يرفع نفسه يتضع ، ومن يضع نفسه يرتفع »
« الإنسان الصالح من كثر قلبه الصالح يخرج الصلاح ، والإنسان الشرير من كثر قلبه الشرير يخرج الشر ، فإنه من فضلة القلب يتكلم فيه . »
« لأنه ما من شجرة تثمر ثمار ديا ، ولا شجرة ردية تثمر ثمارا جيدا ، لأن كل شجرة تعرف من ثمرها ، فإنهم لا يجتنون من الشوك تينا ، ولا من العليق عنباً . »
« كل من يشرب من هذا الماء يعطش أيضا - ولكن من يشرب من الماء الذى أعطيه أنا فلن يعطش إلى الأبد ، بل الماء الذى أعطيه يصير فيه ينبوع ماء ينبع إلى حياة أبدية . »

ويقول القرآن الكريم ، كتاب الله الحق الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، مبينا القبائح والمنكرات التى يجب اجتنابها والفضائل التى يجب التمسك بها يقول فى سورة الأنعام :

(قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا ، وبالوالدين إحسانا ، ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ، ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق ، ذلكم وصّاكم به لعلكم تعقلون . ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هى أحسن حتى يبلغ أشده ، وأوفوا الكيل والميزان بالقسط ، لا تكلف نفسا إلا وسعها ، وإذا

قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى ، وبعهد الله أوفوا ، ذلكم وصاكم به لعلكم
تذكرون)

ويقول في سورة الإسراء :

(وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا ، إما يبلغن عندك الكبر
أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما . واخفض لهما
جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا . ربكم أعلم بما في
نفوسكم ، إن تكونوا صالحين فإنه كان للأوابين غفورا . وآت ذا القربى حقه
والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا ، إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان
الشيطان لربه كفورا ، وإما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم
قولا ميسورا ، ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد
ملوما محسورا . إن ربك ييسر الرزق لمن يشاء ويقدر ، إنه كان بعباده خبيرا
بصيرا ، ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم ، إن قتلهم كان
خطئا كبيرا . ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلا ، ولا تقتلوا النفس التي
حرم الله إلا بالحق ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل
إنه كان منصورا ، ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده ،
وأوفوا بالعهد إن العهد كان مشولا . وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس
المستقيم ، ذلك خير وأحسن تأويلا . ولا تقف ما ليس لك به علم ، إن السمع
والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مشولا ، ولا تمش في الأرض مرحا إنك لن
تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا . كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها ،
ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة ، ولا تجعل مع الله إلها آخر فخلق في جهنم
ملوما مدحورا)

وفى وصف المؤمنين الصالحين يقول الله تبارك وتعالى :

(قد أفلح المؤمنون . الذين هم فى صلاتهم خاشعون . والذين هم عن اللغو معرضون . والذين هم للزكاة فاعلون ، والذين هم لفروجهم حافظون ، إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين) .

وفى العفو والتسامح والصفح يقول جل جلاله فى سورة فصلت :

(ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إننى من المسلمين . ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ، ادفع بالتي هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه وليّ حميم . وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم) .

وفى وصف المؤمنين يقول الله سبحانه وتعالى فى سورة الشورى :

(والذين يمتحنون كبار الإثم والفواحش وإذا ما غضبوا هم يغفرون . والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون . والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون . وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله ، إنه لا يحب الظالمين)

وفى وصف عباد الرحمن يقول الرحمن جل جلاله :

(وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما . والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً . والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراماً . إنها ساءت مستقراً ومقاماً والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً . والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ، ومن يفعل ذلك يلق أثاماً . يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً . إلا من تاب وآمن

وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات ، وكان الله غفورا رحيما .
ومن تاب وعمل صالحا فإنه يتوب إلى الله متابا . والذين لا يشهدون الزور وإذا
مروا باللغو مروا كراما . والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يحرموا عليها صما
وعميانا . والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا
للمتقين إماما . أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما . خالدين
فيها ، حسنت مستقرا ومقاما)

هذا هو المنهج الإسلامى للتربية السليمة والأخلاق القويمة . وهذه هى تعاليم
السماء كما نزلت على الرسل والأنبياء ، وإن التكليف فى الإسلام لتتجمع
وتتلاحم وتتشابك ، فلا فاصل فى الإسلام بين عباداته وعقائده ، ومعاملاته
وآدابه وأخلاقه ، وانظر كيف مزج القرآن بينها فى آية واحدة حيث يقول الله
جل وعلا :

(ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ، ولكن البر من آمن
بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى
واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة
والموفون بمعهدهم إذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس ،
أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون) .

أزمة أخلاقية :

وأساس الأخلاق فى الإسلام الرحمة والمحبة ، والله سبحانه وتعالى هو
الرحمن الرحيم . والرحمن والرحيم اسمان من أسماء الله الحسنى ، وقد أثنى الله
على المؤمنين لأنهم « رحماء بينهم » ويتواصون فيما بينهم بالحق والرحمة .

ونبي الإسلام عليه الصلاة والسلام هو نبي الرحمة وهو المبعوث رحمة للعالمين ، وقد تجسدت في ذاته الشريفة الطاهرة سمات الإسلام وخصائصه ، فكان خلقه القرآن ، كما قالت السيدة عائشة رضي الله عنها ، ومن قبل سماء قومه « الأمين » وقد أثنى عليه الله في كتابه الكريم ، فخاطبه بقوله سبحانه (وإنك لعلی خلق عظیم)

ويقول ﷺ عن بعثته « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » ويلخص الدين في كلمة واحدة هي المعاملة ، فيقول « الدين المعاملة » ويقول « رحم الله رجلا سمحا إذا باع وإذا اشترى وإذا قضى وإذا اقتضى » .

ومن الأسف أن تلتفت حولنا فنجد معين العطف والرحمة قد نصب من القلوب ، وإن المرء ليتأمل في هذا العصر فيما أصبح عليه غالبية الناس من كلب على الحياة ، وسعار مجنون نحو المادة ، وسعى محموم نحو اللذة والشهوة ، فلا يملك نفسه من الأسى والخسرة ، فإنه أينما تلتفت وجد كذبا يملأ الأفواه ، ونفاقا يكسو الوجوه ، وزيفا وباطلا يتريأ بزى العصرية والحضارة والتقدم . وويل من الناس في هذا العصر الذى اختلت فيه القيم واضطربت الموازين ، لمن تحرر من ذل الشهوة ، أو ابتعد عن السفاسف ، أو رزق القدرة على الاستغناء ، والمقدرة على البذل والعطاء ، وصان نفسه عن مواطن المهانة والذلة ، إنه في نظر الناس مغفل أبله ، أو متزمت جامد ، متمسك بأفكار بالية عتيقة ، إنه لا يعيش حضارة العصر ، عصر العلم والتكنولوجيا وغزو الفضاء والهبوط على القمر ، والاتصال بالكواكب ، عصر السينما والمسرح والتلفزيون عصر القصص والروايات والمسرحيات والمسلسلات وما تبثه في روح الشباب من الرخاوة والضعف والتحلل والانحلال .

ومعاذ الله أن نحتقر العلم الحديث ، أو نقلل من ابتكاراته ، ولكن طائفة باعوا أنفسهم للشيطان يفتشون وراء هذه الأجهزة الإعلامية لتدمير الأخلاق وهدم القيم ، فهم لا يفتشون يوعزون من طرف خفي بالتحلل من القيم ، وانتهاج اللذة ، ويوحون إلى الشباب أنه لا حقيقة وراء هذه الحياة ، وأن الإنسان كائن من هذه الكائنات الأرضية ، مثله مثل الزرع ينبت في الربيع ، ويبيس في الصيف ، فأجدر به أن يستوفى حظوظه ، وألا يقمع نفسه عن شهوة أو يتعفف عن ظلم وفك ، أو يترفع عن كذب وعذر ونفاق .

وهكذا أصبحت حياة ذوى الدين والمروءة والشرف هجيرا لافحا ، وصحراء مقفرة ، وأصبح القابض على دينه كالقابض على الجمر ، كما قال الرسول عليه الصلاة والسلام .

خطورة التحلل من الأخلاق :

ومما يدعو للعجب أن بعض الناس يقولون : إننا إذا الغينا الأنانية ، أوجدنا السلوك الأخلاقى ، وطردنا هذه العواطف التى تريد الأخلاق أن نقضى عليها ، فإننا بذلك نقضى على الصناعة والتجارة ، لأن محركها فى تلك الشهوات التى نريد أن نقضى عليها .

وهو قول يكشف عن نظرة مادية ، لا تقيم وزنا للأخلاق وتنظر إلى الإنسان من جانبه الحيوانى ، تنظر إلى نصفه الأسفل لا إلى نصفه الأعلى .

وهى نظرة كليلة لا تدرك أن الحضارة الصحيحة والمدنية الحققة لا بد لها من دعامين أساسيين : دعامة مادية عمرانية ، ودعامة روحية أخلاقية ، فإذا قامت على دعامة واحدة كانت مدينة عرجاء تمشى على ساق واحدة !

وليست الثروة غاية في ذاتها ، كما ينادى بذلك الاقتصاديون في الغرب ، وإنما هي وسيلة لإسعاد البشر ، وما تجمعت الثروات وتكدست عند أفراد من الناس إلا بوسائل الاحتكار ، وتضييع الحقوق والواجبات ، ولوحصل كل عامل على أجر يكافئ جهده لأقل على عمله بجد وإخلاص ، وانتزعت الأحقاد والعداوات .

ولقد جرَّ هذا الفهم الخاطئ لوظيفة المال في الحياة كثيرا من الكوارث والويلات ، فقامت الحروب ، وتأججت النيران ، وشهد العالم حروبا عالمية ومحلية كان لها أوخم العواقب في حياة الناس في كل مكان . وهذه هي خطورة التحلل من الأخلاق ، وفصل الأخلاق عن السياسة والاقتصاد ، هذا على مستوى الأمم والدول والشعوب .

أما خطورة التحلل من الأخلاق على مستوى الأفراد ، فإن انتشار هذه الظاهرة نذير شؤم ووبال ، والله در شوق حيث يقول :

وإذا أصيب القوم في أخلاقهم

فأقم عليهم ماتما وعويلا

وحيث يقول في قصيدة ثانية :

وليس بعامر بنيان قوم إذا أخلاقهم كانت خرابا

وحيث يقول في قصيدة ثالثة بيته الذائع :

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت

فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

وصدق شوقي فيما قال ، فما ضاعت الأخلاق في أمة من الأمم أو في شعب من الشعوب إلا ذهبت ربحه ، واضطرب أمره ، وأحاطت به المشكلات ، وتأمل فيما يحيط بحياتنا الآن من صور المعاناة والبلاء تجد معظمها يرجع إلى فساد الأخلاق ، وخراب الذمم ، ولا خلاص لنا إلا إذا عدنا إلى قيمنا وأخلاقنا ، ومصداق ذلك في الحالين قول الله سبحانه وتعالى : (وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفياً فففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً) ، وقوله تعالى : (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له وما لهم من دونه من وال) .

آلام الشهوة والظلم :

وتعالوا بنا ننظر إلى المشكلة بعين الحكمة والعقل والتدبر . إن من يظن أن السعادة في الشهوة واللذة يخطئ في حق نفسه قبل أن يخطئ في حق مجتمعه ، فالشهوة والظلم ردود فعل ضارة بالشخص نفسه ، كما هي ضارة بمجتمعه ، فالشهوة لا تعرف رياء ولا شبعاً ، وكلما أرضى الشخص شهوته شعر بالحاجة إلى المزيد والاستكثار ، والشعور بالاحتياج شعور مؤلم لا يبعث على السرور أو الارتياح .

ثم إن اللذة موقوتة وسريعة ، ويتتاب صاحبها الشعور بالملل ، وما أشبه صاحب الشهوات الحسية بالأجرب الذي لا يفتأ يحك جلده ، فيولد له هذا الحك شيئاً من اللذة والارتياح ، ولكنه لا يربحه من داء الجرب !
وصاحب اللذات الحسية الغليظة يغفل عن صنوف من اللذات الروحية ، وهي لذات نقية صافية لا يشوبها كدر أو ألم ، فهناك لذة العلم والمعرفة ، وهناك

لذة تذوق الفنون والآداب الرفيعة العالية ، وهناك لذة التمسك بالفضائل والقيم العليا ، وكلها لذات باقية خالدة .

والخضوع للذات الحسية دليل على ضعف الإنسان وعجزه ، لأن الإسراف في اللذات يجر حتما إلى الظلم والاعتصاب والافتئات على حقوق الآخرين ، وذلك شر ، وشركبير ، شر بالنسبة للمظلوم ، وشر بالنسبة للظالم ، أما بالنسبة للمظلوم فهذا معروف ، وأما بالنسبة للظالم ، فلأن الظلم يدل على نقص العقل ، فالظالم بسبب ظلمه لن يشعر براحة ، ولن يتمتع بسعادة ، ومهما أمارت ضميره ، ومهما تجاهل عاقبة ظلمه ، فإنه يشعر في قرارة نفسه باحتقار النفس ، وإن صور ظلمه لتظل منقوشة في صدره ، وستظل ذاكرته مشحونة بالهواجس التي تفقده راحة البال وطمأنينة النفس .

والظالم ناقص العقل ، لأنه بظلمه فقد محبة الناس ، وما أمض أن يشعر الإنسان بأنه غير مرغوب فيه ، بل مبعوض مكروه .

وأقصى ما ينال الظالم جزاء ظلمه في الدنيا ، فضلا عما ينتظره من العقاب في الآخرة ، أنه لن يشعر بالراحة ساعة الاحتضار ، وهذا أمر واقع ملموس . والتاريخ يحدثنا عن ملوك وخلفاء وسلاطين وحكام وبعضهم كان من العادلين ، ولكنهم ارتكبوا في حياتهم بعض المفقوات التي ندموا عليها ساعة الوفاة ، وتمنوا لو كانوا لم يفعلوها ، وصدق الله العظيم حيث يقول : (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون) .

وإذا كان الإسراف في اللذات يعقب الحشرات ، فعلى الإنسان العاقل أن يقتصر منها على الطيب المشروع الذي يوفى بمطالب جسمه ، وهذا القدر المعتدل نظمته الشرائع والأديان ، ومن أجلها كان إرسال الرسل والأنبياء .

الحكماء والأنبياء :

الحكمة طب القلوب ، وحاجتنا إلى الحكمة أكثر من حاجتنا إلى الطبيب ،
والحكماء والأنبياء هم أطباء البشرية ، وأساتها الذين يطبون لأمراضها ،
ويعملون على سلامتها ووقايتها .

وهم يمتازون بعقلهم الراجح ، ورأيهم السديد ، وهم الذين تكفلوا ببيان
الحكمة بنوعها العلمي والعملى التى لخصناها فى : معرفة الحق وعمل الخير .
ولكنَّ هناك فروقا بين حكمة الحكماء وهداية النبى ، فالغالب على حكمة
الحكماء الناحية العلمية ، وإن أخذ من الحكمة العملية بطرف ، والغالب على
هداية النبى الحكمة العملية وإن أخذ من الحكمة العلمية بطرف ، وهذا
ما وضحه الشهرستانى فى كتابه « الملل والنحل » وفرق آخر وضحه الشهرستانى
وهو أن حكمة الحكماء مستمدة من الإلهامات العقلية التى يتعرض لها ، أما حكمة
النبى فهى ممدودة بالوحي من الله تعالى .

يقول الشهرستانى : « فغاية الحكماء أن يتجلى له نظام الكون ، ويتشبه
بالحق - تعالى وتقدس - بغاية الإمكان . وغاية النبى أن يتجلى له نظام
الكون ، فيقدّر على ذلك مصالح العامة حتى يبقى نظام العالم » .

ومن هذا ندرك حينما نعرض للحكماء وحكمهم ، لماذا قيل بنبوّة زرادشت
أوبوذا أولقمان أوغيرهم من الحكماء . فالحكماء والأنبياء أوتوا الحكمة من الله
هبة منه وكرما وفضلا (يؤتى الحكمة من يشاء ، ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا
كثيرا ، وما يذكر إلا أولوا الألباب) .

يقول الله تبارك وتعالى فى شأن نبيّنا محمد ﷺ : (هو الذى بعث فى

الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين .

ويقول عن إبراهيم وذريته (فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة)
ويقول عن داود (وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء) ويقول
(وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب) .

ويقول عنه وعن ابنه سليمان (ولقد آتينا داود وسليمان علما) ويقول (وكلا
آتينا حكما وعلما) ويقول في شأن موسى (وكتبنا له في الألواح من كل شيء
موعظة وتفصيلا لكل شيء) ويقول : (إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور)
ويقول في حكمة عيسى (ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل) .
عليهم صلوات الله وتسليماته أجمعين .

الحكيم الذي ذكره القرآن :

ومن آتاهم الله الحكمة لقمان الحكيم الذي اختلف المفسرون بشأنه ، أهو
حكيم أم نبي ، والقرآن الكريم يثبت له الحكمة التي فسرهما بعضهم بالنبوة ،
وذلك في سورة سميت باسمه وفيها يقول الله تبارك وتعالى : (ولقد آتينا لقمان
الحكمة أن اشكر الله ، ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه ، ومن كفر فإن الله غني
حميد) .

وذكرت آيات أخرى وصاياها التي وجهها إلى ابنه ، وحثه فيها على توحيد
الله وعدم الإشراك به ، وأمره بحملة من الفضائل ونهاه عن بعض الرذائل ،
فحثه على البر بالوالدين ، ولا سيما الأم ، كما أوصاه بمراقبة الله في سره وعلمه ،
فإنه رقيب على كل شيء ، مطلع على خفيات الأمور ، كما أوصاه بإقامة الصلاة

والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والتزام الصبر ، والتحلّي بفضيلة
التواضع ، وحذره من الكبر والإعجاب بالنفس ، ورفع الصوت ، وذلك في
قوله تعالى :

(وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله ، إن الشرك لظلم
عظيم . ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن . وفصاله في عامين أن
اشكر لي ولوالديك إلىّ المصير ، وإن جاهدك على أن تشرك بي ما ليس لك به
علم فلا تطعها وصاحبها في الدنيا معروفا واتبع سبيل من أناب إلىّ ، ثم إلىّ
مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون . يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل
فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض يأت بها الله ، إن الله لطيف
خبير . يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك ،
إن ذلك من عزم الأمور ، ولا تصغر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحاً إن
الله لا يحب كل مختال فخور . واقصد في مشيك واغضض من صوتك إن أنكر
الأصوات لصوت الحمير) .

منهجنا في هذا الكتاب :

وواضح أن الغاية التي نتغيها في هذا الكتاب ، والهدف الذي نرمى إليه هو
دعم الأخلاق ونحن مقبلون على مرحلة جديدة حاسمة ، في تصحيح أوضاعنا
السياسية والاقتصادية والاجتماعية . لهذا أوردنا في هذا الكتاب كثيراً من الحكم
المتنوعة لطائفة من الحكماء في الشرق والغرب ، وضممنا إليها لمعاً من أقوال
السيد المسيح وتعاليمه ، والأحاديث النبوية الشريفة ، ولا نتخوف هنا من شبهة
قد ترد على بعض الأذهان ، فبدون شك نحن لا نسوّي بين حكم الحكماء

وكلمات الأنبياء ، وإنما ضممتنا هذه إلى تلك لتكون نورا على نور ، يهدي الله لنوره من يشاء ، فحكمة الحكيم كما بينا يستلهمها من عقله ، وهي قابلة للخطأ والصواب ، أما حكمة النبي فهي وحى موحى به من عند الله ، فلا مجال للمساواة بين إلهامات العقل ، وإمدادات الوحي .

وقد قدمنا بين يدي هذه الحكم تعريفات وترجمات موجزة تعرف بأصحابها ، كما علقنا على بعضها بما أسعف به الخاطر ، وسمح به المجال . هذا ، وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يمنح قلوبنا نورا نشاهد به آيات رحمته ، وأن يمنحنا الصدق مع أنفسنا والناس ، وأن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، وأن يهدينا الصراط المستقيم ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين .

لقمان

أرجح الآراء على أنه لقمان بن باعوراء من أولاد آزر والد إبراهيم عليه السلام ، قيل إنه عاش في زمن أيوب النبي ، وقيل إنه ابن أخت أيوب أوخالته ، وأيوب قد عاش في القرن الثامن عشر قبل الميلاد ، وقيل إنه أدرك عهد داود الذي كان ملكا على بني إسرائيل ، وهو بي الله داود الذي عاش في القرن الحادي عشر قبل الميلاد ، ولهذا قالوا إن لقمان عاش ألف سنة .
والظاهر أنه عاش في عصر داود ، وأنه كان عبدا أسود اللون ، ينتمي إلى الجنس الأفريقي ، قيل من أهل النوبة ، وقيل من أهل الحبشة ، وقيل من أهل السودان .

وهناك روايات تفيد أنه من أهل « أيلة » وأن اسمه بلعام بن بروق ، وأنه كان عبدا لرجل من بني إسرائيل ، والظاهر أنه كان عبدا لرجل عربي من بني الحسحاس يسمى القين بن جبير ، وأن القين بن جبير أعتقه ، حين ظهر فضله ، وجرت الحكمة على لسانه .

واختلف المفسرون : هل كان لقمان نبيا أو كان حكيما ، فقال بعضهم بنبوته ، وأكثر أهل العلم على أنه رجل صالح كامل العقل ، كان كثير التأمل والتفكير والصمت ، وكان حميد السيرة ، فخيره الله بين الحكمة والنبوة ، فاختار الحكمة فوهبه الله إياها ^(١) .

(١) هذا الاختلاف حول لقمان الحكيم وشخصيته وزمنه لا يؤثر على حقيقة وجوده التي أخبر =

والحكمة التي أوتيتها لقمان حكمة ربانية ، وليست من الحكم المكتسبة التي يحصلها الحكماء والفلاسفة بالبحث والتفكير . ويرجع الأستاذ عبد الكريم الخطيب في تفسيره أن لقمان كان نبيا ، واحتج لرأيه بأن القرآن الكريم سمي سورة منه باسمه ، كما سمي سورا بإبراهيم ويونس وهود ويوسف ومحمد ومريم ، وهذه التسمية تشير إلى ما للمسمى من شأن وقدر في مقام الخير أو الشر ، كما سميت سورة باسم أبي لهب ، لأنه كان علما من أعلام الضلال والكفر . وقالوا : إن لقمان الحكيم هذا غير لقمان بن عاد الذي عاش في زمن هود عليه السلام ، والذي تدور حوله أسطورة عربية حول طول عمره ، فقد ذكروا أن (لقمان عاد) سأل الله أن يعطيه عمرا ، فأعطى عمر سبعة أنسر . قالوا : فكان يأخذ الفرج منها حين يخرج من البيضة ، ويأخذ الذكر لفضل قوته ، فإذا مات أخذ غيره ، وكل نسري يعيش فيها قبل نحو ثمانين سنة ، حتى انتهى إلى النسري السابع الذي سماه « لبد » مؤملا أنه لا يموت ، ولكن لبد مات ، ومات لقمان بموته .

ولهذا جاء في الأمثال العربية « طال الأمد على لبد » وجاء في شعر النابغة الذبياني :

أمست خلاء وأمسى أهلها ارتحلوا

أخنى عليها الذي أخنى على لبد

وقد نسب إلى لقمان الحكيم أقوال وحكم ومواعظ مشهورة في كتب الأدب

= بها القرآن ، كما أخبر بقصة أصحاب الكهف ، ثم أثبتت الكشوف التاريخية والأثرية صحة الواقعة .
راجع كتاب أهل الكهف لمحمد نيسر ظبيان

والأخبار ، وقيل كانت في أيام النبي عليه السلام مجلة تسمى مجلة لقمان ، ويروى عن وهب بن منبه أنه قرأ في حكمة لقمان عشرة آلاف باب .
وتتسم هذه الحكمة بسمة الزهد في الدنيا ، والحث على الفضائل
وهالك طائفة منها :

● قيل إن سيده أمره بذبح شاة ، وطلب منه أن يأتي له بأطيب عضوين من أعضائها ، فأتى له بالقلب واللسان . وبعد أيام أمره أن يذبح شاة أخرى ، وأن يستخرج أحب مضعتين فيها ، فأتى له بالقلب واللسان ، فسئل في ذلك فقال : هما أطيب ما فيها إذا طابا ، وأحب ما فيها إذا خبثا .
● إن العاقل إذا أبصر بعينه عرف الحق بقلبه .

● ثلاث من كنَّ فيه فقد استكمل الإيمان ، من إذا رضى لم يخرج به رضاء إلى الباطل ، وإذا غضب لم يخرج به غضبه من الحق ، وإذا قدر لم يتناول ما ليس له .

● إذا أردت أن تواخي رجلاً فأغضبه ، فإن أنصفك في غضبه ، وإلا فدعه .

● ضرب الوالد ولده كالسماد للزرع .

● يابئى ، قد ندمت على الكلام ، ولم أندم على السكوت .

● مثل الخليل الصالح كمثل النخلة ؛ إن قعدت في ظلها أظلتك ، وإن احتطبت من حطبها نفعتك ، وإن أكلت من ثمرها وجدت طيباً .

● قيل للقمان : ما أقبح وجهك ! فقال : أتعيب بهذا على النفس أم على النفس ؟ !

● الإخوان ثلاثة : مخالب ومحاسب ومرغب ، فالمخالب الذي يتال منك

معروفك ولا يكافئك ، والمحاسب الذى ينيلك بقدر ما يصيب منك ، والمرغب الذى يرغب فى مواصلتك بغير طمع .

● ينبغى للعاقل أن يكون فى أهله كالصبي ، فإذا كان فى القوم كان رجلاً .

● ليس مال كالصحة ، ولا نعيم كطيب نفس .

● إن القلب ليحيا بالحكمة كما تحيا الأرض بالمطر .

● يابنى ، لا تجالس الفجار ولا تماشهم ، اتق أن يتزل عليهم عذاب من

السماء فيصيبك معهم ، وجالس الفضلاء والعلماء ، فإن الله تعالى يحب

القلوب الميئة بالفضيلة والعلم ، كما يحب الأرض بوابل المطر .

● المعروف كثر ، فانظر من تودعه .

● دار أنت إليها تسير أقرب من دار أنت عنها مرتحل .

● إياك والدئين ، فإنه ذلّ النهار وهمّ الليل .

● من رحم يُرحم ، ومن يصمت يسلم ، ومن يقل الخير يسلم ، ومن يقل الشر يأثم ، ومن لا يملك لسانه يندم .

● إياك وصاحب سوء ، فإنه كالسيف ؛ يحسن منظره ، ويقبح أثره .

● لا تكن الخلة أكيس منك ، تجمع فى صيفها لشتائها .

● لا يكن الديك أكيس منك ؛ ينادى بالأسحار وأنت نائم .

● إياك والكذب ؛ فإنه أشهى من لحم العصفور .

● يابنى ، أوصيك باثنتين لن تزال بخير ما تمسكت بهما ؛ درهمك

لمعاشك ، ودينك لمعادك .

● كذب من قال : إن الشر يطفأ بالشر ، فإن كان صادقا فليوقد نارين ،

ثم ينظر هل تطفى إحداهما الأخرى ، وإنما يطفى الخير الشر ، كما يطفى الماء النار .

● حملت الصخر والحديد ، فلم أحمل أثقل من الدين ، وأكلت الطيبات وعانقت الحسان فلم أصب ألد من العافية ، وذقت المراتف فلم أذق أمر من الحاجة إلى الناس .

● إذا امتلأت المعدة ، نامت الفكرة ، وخرست الحكمة ، وقعدت الأعضاء عن العبادة .

● أمر ، لا تدرى متى يلقاك ، استعد له قبل أن يفجأك .

● إن من الكلام ما هو أشد من الحجر ، وأنفذ من الإبر ، وأمر من الصبر ، وأحر من الجمر ، وإن من القلوب مزارع ، فازرع فيها الكلمة الطيبة ، فإن لم تنبت كلها نبت بعضها .

● استعن بالكسب الحلال على الفقر ، فإنه ما افتقر أحد إلا أصابته رقة في دينه ، وضعف في عقله ، وزهاب مروءته ، وأعظم من هذه الثلاث استخفاف الناس به .

● أن تكون أحرص عاقلاً خير من أن تكون نطوقاً جهولاً .

● إن كنت في الصلاة فاحفظ قلبك ، وإن كنت في الطعام فاحفظ خلقك ، وإن كنت في بيت الغير فاحفظ عينيك ، وإن كنت بين الناس فاحفظ لسانك .

● اذكر اثنين وانس اثنين ؛ أما اللذان تذكرهما فالله والموت ، وأما اللذان تنساهما فإحسانك في حق الغير ، وإساءة الغير في حقك .

● خذ من الدنيا بلاغك ، وأنفق فضولك سبك تقدمه لآخرتك ، ولا ترفضها كل الرفض فتكون على الناس عيالا ، وعلى أعناق الناس كلاً .

● إن يد الله على أفواه الحكماء ، لا يتكلم أحدهم إلا ما هيأ الله له .

- يأتي على الناس زمان لا تقرأ فيه عين حكيم .
- إن الدنيا بحر عميق ، قد غرق فيها ناس كثير ، فلتكن سفيتك فيها تقوى الله ، وليكن حشوها إيمانك بالله ، وشرائعها التوكل على الله ، فلعلك تنجو ، وما أظنك ناجيا .
- لا تتعلم العلم لتباهى به العلماء ، وتمازى به السفهاء ، أو ترأى به في المجالس .
- كيف لا يخاف الناس ما يوعدون ، وهم في كل يوم ينقصون .
- لا تضع برك إلا عند راعيه ، فكما ليس بين الكباش والذئب خلة ، كذلك ليس بين البار والفاجر خلة .
- لا تأمر الناس بالبر وتنسى نفسك ، فيكون مثلك مثل السراج ؛ يضيء للناس ويحرق نفسه .
- الزم الحكمة تكرم بها ، وأعزها تعز بها ، وسيد أخلاق الحكمة دين الله عز وجل .
- اتخذ تقوى الله تجارة ، يأتك الربح من غير بضاعة .
- حملت الجندل والحديد ، فلم أحمل شيئا أثقل من جار السوء ، وذقت المرارة فلم أذق أمر من الفقر .
- ثلاثة لا تعرفهم إلا في ثلاثة : لا تعرف الحليم إلا عند الغضب ولا الشجاع إلا عند الحرب ، ولا تعرف أخاك إلا إذا احتجت إليه .

هرمس

جاء فى دائرة معارف القرن العشرين للعلامة محمد فريد وحدى .
« يقال إن الهرامسة ثلاثة ؛ هرمس الأول ، وهو المثلث بالنعم ، فإنه كان قبل الطوفان ، ومعنى هرمس لقب كما يقال قبصر وكسرى ، وتسميه الفرس فى سيرها اللهجد ، وتفسيره ذو عدل ، وهو الذى تذكر الحراية نبوته ، وتذكر الفرس أن جده كيومرث وهو آدم ، وتذكر العبرانيون أنه أخنوخ ، وهو بالعربية إدريس .

قال أبو معشر : هو أول من تكلم فى الأشياء العلوية من الحركات النجمية ، وأن جده كيومرث وهو آدم ، علمه ساعات الليل والنهار ، وهو أول من بنى الهياكل ، ومجد الله فيها ، وأول من نظر فى الطب وتكلم فيه ، وأنه آلف لأهل زمانه كتباً كثيرة بأشعار موزونة ، وقواف معلومة . بلغه أهل زمانه فى معرفة الأشياء الأرضية والعلوية ، وهو أول من أنذر بالطوفان ، ورأى أن آية سماوية تلحق الأرض من الماء والنار . وكان مسكنه صعيد مصر ، تخير ذلك فبنى هنالك الأهرام ومدائن التراب ، وخاف ذهاب العلم بالطوفان ، فبنى البرابى ، وهو الجبل المعروف بالبربا بربا أخميم ، وصور فيها جميع الصناعات وصناعتها نقشا ، وصور جميع آلات الصناع . أشار إلى صفات العلوم لمن بعده برسوم حرصاً منه على تخليد العلوم لمن بعده ، وخيفة أن يذهب رسم ذلك من العالم .

وثبت في الأثر المروى عن السلف أن إدريس أول من درس الكتب ونظر في العلوم ، وأنزل الله عليه ثلاثين صحيفة ، وهو أول من خاط الثياب ولبسها ورفع الله مكانا عليا .

وأما هرمس الثاني فإنه من أهل بابل ، سكن مدينة الكلدانيين وهي بابل ، وكان بعد الطوفان في زمن نذير بالي الذي هو أول من بنى مدينة بابل بعد نمرود بن كوش . وكان بارعا في علم الطب والفلسفة وعارفا بطبائع الأعداد ، وكان تلميذه فيثاغورس الارتماطيقى . وهرمس هذا جدّد من علم الطب والفلسفة وعلم العدد ما كان قد درس بالطوفان ببابل ، ومدينة الكلدانيين هذه مدينة الفلاسفة من أهل المشرق ، وفلاسفتهم أول من حدّد الحدود ورثب القوانين . وأما هرمس الثالث فإنه سكن مدينة مصر ، وكان بعد الطوفان ، وهو صاحب كتاب الحيوانات ذوات السموم . وكان طبيبا فيلسوفا عالما بطبائع الأدوية القتالة والحيوانات المؤذية . وكان جّوالا في البلاد طوفا بها ، عالما بنسبة المدائن وطبائعها وأهلها ، وله كلام حسن في صناعة الكيمياء نفيس ، يتعلق منه إلى صناعات كثيرة كالزجاج والخز والفخار وما أشبه ذلك ، وكان له تلميذ يعرف باسقبليوس ، وكان مسكنه بأرض الشام .

وقال الشهرستاني في كتاب الملل والنحل :

هرمس الحكيم المحمودة آثاره ، المرضية أقواله وأفعاله ، الذي يعدّ من الأنبياء الكبار ، ويقال هو إدريس النبي عليه السلام ، وهو الذي وضع أسامي البروج والكواكب السيارة ورتبها في بيوتها ، وأثبت لها الشرف والوبال ، والأوج والحضيض ، والمناظر بالتثليث والتسديس والتريع ، والمقابلة والمقارنة ، والرجعة والاستقامة ، وبين تعديل الكواكب وتقويتها ، وأما

الأحكام المنسوبة إلى هذه الاتصالات فقير مبرهن عليها عند الجميع .
وأورد الشهرستاني طائفة من حكم هرمس قال عنها إنها تدل على تقرير
مذهب الخفاء في إثبات الكمال في الأشخاص البشرية ، وإيجاب القول في
اتباع النواميس الإلهية .

ومن حكم هرمس :

● أول ما يجب على المرء الفاضل بطباعه ، المحمود بسنخه ، المرضي في
عادته ، المرجو في عاقبته : تعظيم الله عز وجل ، وشكره على معرفته ، وبعد
ذلك فللناموس عليه حق الطاعة له ، والاعتراف بمرتته ، وللسلطان عليه حق
المناصحة والانقياد ، ولنفسه عليه حق الاجتهاد ، والدأب في فتح باب
السعادة ، ولخصائه عليه حق التحلى لهم بالود ، والتسارع إليهم بالبذل ، فإذا
أحكم هذه الأسس لم يبق عليه إلا كفا الأذى عن العامة ، وحسن المعاشرة ،
وسهولة الخلق .

● أفضل ما في الإنسان من الخير العقل ، وأجدر الأشياء ألا يندم عليه
صاحبه العمل الصالح ، وأفضل ما يحتاج إليه في تدبير الأمور الاجتهاد ، وأظلم
الظلمات الجهل ، وأوثق الإسار الحرص .

● من أفضل البر ثلاثة : الصدق في الغضب ، والجود في العسرة ، والعفو
عند المقدرة .

● من لم يعرف عيب نفسه ، فلا قدر لنفسه عتده .

● الفصل بين العاقل والجاهل : أن العاقل منطق له ، والجاهل منطق
عليه .

● لا ينبغي للعاقل أن يستخف بثلاثة أقوام : السلطان ، والعلماء ، والإخوان . فإن من استخف بالسلطان أفسد عليه عيشه ، ومن استخف بالعلماء أفسد عليه دينه ، ومن استخف بالإخوان أفسد عليه مروءته .

● الخير والشر واصلان إلى أهلها لا محالة ، فطوبى لمن جرى وصول الخير إليه وعلى يديه ، والويل لمن جرى وصول الشر إليه وعلى يديه .

● الإخاء الدائم الذى لا يقطعه شيء اثنان : أحدهما محبة المرء نفسه فى أمر معاده ، وتثديبه إياها فى العلم الصحيح والعمل الصالح ، والآخر مودته لأخيه فى دين الحق ، فإن ذلك مصاحب أخاه فى الدنيا يجسده ، وفى الآخرة بروحه .

● الغضب سلطان الغفظة ، والحرص سلطان الفاقة ، وهما منشأ كل سيئة ، ومفسدا كل جسد ، ومهلكا كل روح .

● الاستخفاف بالموت أحد فضائل النفس .

● المرء حقيق له أن يطلب الحكمة ويثبتها فى نفسه أولا ، ألا يجزع من المصائب التى تم الأخيار ، ولا يأخذ الكبر فيما يبلغه من الشرف ، ولا يعبر أحدا بما هو فيه ، ولا يغيره الغنى والسلطان ، وأن يعدل بين نيته وقوله حتى لا ينفوت ، وتكون سته مالا عيب فيه ، ودينه مالا يختلف فيه ، وحجته مالا يتنقض .

● أنفع الأمور للناس القناعة والرضا ، وأضرها الشره والسخط ، وإنما يكون كل السرور بالقناعة والرضا ، وكل الحزن بالشره والسخط .

● كل شيء يطاق تغييره إلا الطباع ، وكل شيء يقدر على إصلاحه غير الخلق السوء ، وكل شيء يستطيع دفعه إلا القضاء .

● الجهل والحقق للنفس بمتلة الجوع والعطش للبدن ، لأن هذين خلأ النفس ، وهذين خلأ البدن .

● أحمد الأشياء عند أهل السماء والأرض لسان صادق ناطق بالعدل والحكمة والحق فى الجماعة .

● من كان دينه السلامة والرحمة والكف عن الأذى فدينه دين الله عز وجل ، وخصمه شاهد له بفلج حخته ، ومن كان دينه الهلاك والفظاظة فدينه الشيطان ، وهو بدحوض حخته شاهد على نفسه .

● الملوك تحتل الأشياء كلها إلا ثلاث : قدح فى الملك ، وإفشاء للسر ، وتعرض للحرمة .

● لا تكن أيها الإنسان كالصبي ؛ إذا جاع ضغا ، ولا كالعبد ، إذا شبع طغا ، ولا كالجاهل ؛ إذا ملك بغى .

● لا تشرن على عدو ولا صديق إلا بالنصيحة ، فأما الصديق فتقضى بذلك من واجبه حقه ، وأما العدو فإنه إذا عرف نصيحتك إياه هابك وحسدك ، وإن صح عقله استحى منك وراجعك .

● يدل على غريزة الجود السماحة عند العسرة ، وعلى غريزة الورع الصدوف عند الشره ، وعلى غريزة الحلم العفو عند الغضب .

● من سره مودة الناس له ، ومعونتهم إياه ، وحسن القول منهم فيه ، حقيق بأن يكون على مثل ذلك لهم .

● لا يستطيع أحد أن يحوز الخير والحكمة ، ولا أن يخلص نفسه من المعائب ، إلا أن يكون له ثلاثة أشياء ؛ وزير وولى وصديق ، فوزيره عقله ، ووليه عفته ، وصديقه عمله الصالح .

● لا يمدح بكمال العقل من لا تكمل عفته ، ولا بكمال العلم من لا يكمل عقله .

● من أفضل أعمال العلماء ثلاثة أشياء : أن يبدلوا العدو صديقا ، والجاهل عالما ، والفاجر برا .

● الصالح من خيره خير لكل أحد ، ومن يعدّ خيرا كل أحد لنفسه خيرا .

● اجتنب مصاحبة الكذاب ، فإنك لست منه على شيء بتحصيل ، وإنما أنت معه على مثل السراب ، يلمع ولا ينفع .

● ليس بحكيم من لم يعاد الجهل ، ولا بنور مالم يمحى الظلمة ، ولا بطيب مالم يدفع التن ، ولا بصدق مالم يمحى الكذب ، ولا بصالح مالم يخالف الطالح .

● كل إنسان موكل بإصلاح قدر باع من الأرض ، فإنه إذا أصلح قدر ذلك الباع ، صلحت له أموره كلها ، وإذا أضاعه أضاع الجميع ، وقدر ذلك نفسه .

زرادشت

زرادشت هو أشهر حكماء الفرس قديما ، ويعتبره الفرس القدماء نبيا لهم ، وهو مؤسس المذهب المنسوب إليه ، والمعروف بالزرادشتية .

يرجح أنه ولد عام ٦٦٠ ق . م ومات عام ٥٨٣ ق . م وقد ساد الرأي لدى كثير من أتباعه أنه إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام ، وليس لهذا الرأي سند يعتد به ، وقد حشيت سيرته بالأساطير ، اعتزل الناس ، وآوى إلى الصحراوات والغابات ، وأخذ يفكر في الوجود ، وفي مشكلة الخير والشر ، حتى ظهرت له الحقيقة ، فأخذ من ذلك الحين يطوف ببلاد إيران لنشر تعاليمه . وله كتاب يزعم أتباعه أنه كتاب مقدس اسمه « الابستاق » .

والزرادشتية تقول بوجود قوتين تعملان في العالم هما قوة الخير وقوة الشر التي يمثلها « أهورامزدا » و « اهرمان » .

وهنا هنا من هذا المذهب جانبه الأخلاقي ، وهذا الجانب يعتمد على ثلاثة أصول وهي :

١ - التفكير الطيب .

٢ - والقول الطيب .

٣ - والعمل الطيب

وينادى بسبع فضائل عليا هي : الحكمة والشجاعة والعفة والعدل والإخلاص والأمانة والكرم ، ويبدو أن الزرادشتية تعتبر قوة الخير التي يمثلها

الإله أهورا مزدا هي الأصلية ، ولهذا يقول الشهرستاني : « وكان دينه - أي دين زرادشت - عبادة الله ، والكفر بالشيطان ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، واجتناب الخبائث » .

ومن تعاليم هذا المذهب ، الحث على العمل ، وبخاصة تغليب الأرض والزرع والغرس وتنمية الحصاد ، والحض على الرفق بالحيوان النافع ، والحث على النظافة والمحافظة على الصحة .

وتبين الزرادشتية أن كل إنسان عليه واجبات نحو نفسه ، ونحو أسرته ونحو مجتمعه ، ونحو الإنسانية كلها . وتحرم الانتحار ، وتوجب الزواج للإكثار من النسل ، وتحدد تعدد الزوجات .

ومن أجل هذا الاتجاه العملي والالتزام الاجتماعي اتخذها مؤسس الأسرة الساسانية ديناً رسمياً للدولة ، وسار على هذا خلفاؤه من بعده .

ويوضح لنا الشهرستاني أساس هذا المذهب فيقول :

« النور والظلمة أصلان متضادان ، وكذلك « يزدن » و « اهرمن » وهما مبدأ موجودات العالم ، وحصلت التراكيب من امتزاجهما ، وحدثت الصور من التراكيب المختلفة » ويقول : « والبارى - تعالى - خالق النور والظلمة ومبدعها ، وهو لا شريك له ، ولا ضد ولا ند ، ولا يجوز أن ينسب إليه وجود الظلمة . . لكن الخير والشر ، والصالح والفساد ، والطهارة والخبث ، إنما حصلت من امتزاج النور والظلمة ، ولو لم يمتزجا لما كان وجود العالم ، وهما يتقاومان ويتغالبان إلى أن يغلب النور الظلمة ، والخير الشر ، ثم يتخلص الخير إلى عالمه ، والشر ينحط إلى عالمه ، وذلك هو سبب الخلاص . والبارى - تعالى - هو الذي خلطها لحكمة في التركيب . . »

ويقول الشهرستان : «وربما جعل أى زرادشت - النور أصلا ، وقال :
وجوده وجود حقيقى ، وأما الظلمة فتبع ، كالظل بالنسبة إلى الشخص ، فإنه
يرى أنه موجود ، وليس بموجود حقيقة ، فأبدع النور وجعل الظلام تبعاً ، لأن
من ضرورة الوجود التضاد ، فوجوده ضرورى واقع فى الخلق لا بالقصد
الأول » .

هذا هو أساس المذهب الزرادشتى ، فهو لا يقول بالثنوية ، كالمناوية
والمزدكية والديصانية والمرقبونية ، وهى مذاهب محرقة عن المذهب الزرادشتى ،
وتقول بالأصلين النور والظلمة .

أما زرادشت فالفرس يعتبرونه نبيا لهم كما أسلفنا ، ويبدو أن بعض المسلمين
وافقه على هذا القول ، فقد رأيت فى كتاب «الفصل فى الملل والأهواء
والنحل » لابن حزم عبارة تقول «وأما زرادشت فقد قال كثير من المسلمين
بنبوته » ثم يقول ابن حزم بعد ذلك « ليست النبوة بمدفوعة قبل رسول الله ﷺ
لأن صحت فيه معجزة ، قال الله تعالى : (وإن من أمة إلا خلا فيها نذير) .

ومن أقوال زرادشت التى تحمل تعاليمه :

● إن من يبذر الحب يبذر القدسية ، فحين تبذر الحب تذعر الشياطين ،
وحين تثبت تضطرب وتمرض ، وحين ترى سيقانه تبكى ، وحين ترى السنابل
تدير ظهرها ، وإنها لتولى فرارا من البيت الذى يخزن فيه القمح ^(١) .

(١) والإسلام يحض على العمل وعدم التواني والكسل ، يقول الرسول عليه الصلاة والسلام
« اسعوا الرزق فى غيايا الأرض » .

● إن عالما قليل العلم يحاول إنارة عقول الناس بما يعلم ، خير من عالم واسع العلم ضنين به (٢) .

● إن الذى لا يحد بحاله مع ما أوتى من وفرة الرزق سوف يساق إلى هاوية الفقر سوقا ، ولتنصب المصائب انصباها على الأشحاء الذين لا يتصدقون .

● أتوسل إليك يا إلهى أن تحمى حمى الهداية ، وعسى أن تفضل على بها ، أنت يامن يبعث فى النفوس التقوى ، التى لها من العظمة ماله ، فهى النعمة المقدسة ، وهى حياة العقول الطيبة الصالحة .

● لقد كتبت الشر عقابا على الشر ، وجعلت السعادة جزاء وفاقا لمن يفعل الخير ، وذلك بفضلك العظيم الذى يظهر أثره حينما تبدل الخليفة التبدل النهائى .

● أرجو منك أيها الرب الخالق المطلق القدير ، أن تغفر لى ما ارتكبت من سيئات ، ومادار يخلدى من تفكير سبى ، وما صدر عنى من قول أو عمل غير صالح .

● إلهى ، إننى أرجو منك أن تباعد بينى وبين الخطايا حتى أحشر يوم الدين مع الأطهار الأخيار .

● إني أتصورك أيها المعطى الأكبر جميلا حينما أشاهد أنك القوة العليا ، ذات الأثر الفعال فى تطور الحياة ، وحينما أرى أنك تكافئ الناس على الأعمال والأقوال .

(٢) نعم ، فالمعرة ليست بكثرة العلم أو قلته ، وإنما المعرة بالعمل به ، ونشره بين الناس ، وعدم كتابته ، وقد أخذ الله الميثاق على العلماء حين علمهم العلم أن يعلموه ، فقال جل شأنه (وإذا أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لئيبته للناس ولا تكمنوه) وقرأ هذا الهدى النبوى الكريم : « إنما مثل ما بعثنى الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضا ، فكان منها طائفة طيبة قبلت الماء ، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير ، فذلك مثل من فقه فى دين الله ، ونفعه ما بعثنى الله به ، فعلم وعلم » .

● بالحق تحرك قلبي ، وبالنية الطيبة تلهم عقلي ، ويعظمت القوى الروحية
الكامنة في قرارة نفسي ، أسجد تمجيذا لك يا إلهي ، وعلى شفقتي إلى الأبد
تسييحات حمدك ، بل عندما أقف ببابك آخر الأمر أسألك الرحمة
والغفران ، سوف أسمع بوضوح الصدى العذب لصلواتي ، منبعثا من جنتك
موطن الأناشيد .

بوذا

مئات الملايين من البشر يدينون بالمذهب البوذي الذي أسسه حكيم الهند « ساكيا موني جوتاما بوذا » الذي نكاد لانعرف شيئا عن حياته التي امتلأت بالأساطير .

والحقائق المتفق عليها أنه كان في صدر شبابه أميراً يرفل في أعطاف النعم ، وأن والده حرص على أن يحببه رؤية مناظر البؤس والشقاء ، ولكنه خرج مرة للترهة بعد ما كبر وأصبح شابا . فرأى شيخا هرما ينوء تحت ضعف شيخوخته ، ورأى في مرة ثانية مريضا قد شوّه جسمه المرض ، وفي مرة ثالثة رأى جنازة ميت يشيعه أهله وأحبابه بالصراخ والويل ، فأثرت هذه المناظر في نفسه أثرا بالغا ، وأخذ يفكر في هذا الوجود ، والمصير الذي يتول إليه الإنسان ، وهداه تفكيره فهجر القصر وزوجته الجميلة وابنه الصغير ، وخرج يسبح في الأرض ، يطلب الحقيقة ويناقش الرهبان البراهمة ، ويأوى إلى الغابات والكهوف ، وعاش حياة الزهد والتقشف والحرمان .

وفي ليلة استبد به الهم والتفكير والشوق إلى معرفة الحقيقة ، فجلس تحت ظل شجرة ، وأقسم ألا يبرح مكانه حتى تنزل عليه الحقيقة ، ومع أول خيط من خيوط الفجر ، هبطت عليه الاستنارة ، وتجلت له الحقيقة كاملة . ثم أخذ يدعو إلى مبادئه حتى كثر أتباعه ، وكان هائما التطواف حتى بلغ الثمانين ، وأحسّ بدنو الأجل ، فألقى عصا التسيار واضطجع تحت ظل

شجرة ، حيث وافته منيته سنة ٤٨٨ ق . م في إحدى الروايات التي ذكرت تاريخ مولده ووفاته .

ويذهب المرحوم الأستاذ حامد عبد القادر في الكتاب الذي وضعه عنه إلى احتمال أن يكون بوذا نبيا مرسلا ، وفسر كلمة « التين » في قوله سبحانه وتعالى (والتين والزيتون) بأنها قد تكون شجرة التين التي جلس تحتها بوذا ، وتلقى الرسالة في ظلها ، وعلى هذا تكون كلمة « التين » رمزا للديانة البوذية ، وكلمة « الزيتون » إشارة إلى ديانة عيسى ، وكلمة « طور سينين » إيماء إلى رسالة موسى ، و « البلد الأمين » إشارة إلى رسالة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام . والبوذية بنيت على حكم أخلاقية ، منها الحقائق الأربع السامية ، وهي :

١ - الوجود كله هم وألم .

٢ - الشهوة هي سبب الألم .

٣ - التغلب على الشهوة تغلب على الألم .

٤ - وسائل التغلب على الألم ثمانية هي : صحة الرأي ، صحة النية ، صحة القول ، صحة الفعل ، صحة العيش ، صحة الجهد ، صحة مانعي به ، صحة التركيز أو صدق التأمل .

ويبدو أن تعاليم بوذا قد دخل عليها تحريف كثير بعد وفاته ، وانصرف تلاميذه إلى تعظيم شجرته التي أطلق عليها « شجرة العرفان » أكثر مما عنوا بتعاليمه ، وفي آسيا « بوذيات » متعددة مختلفة في الهند والصين واليابان والتبت وبورما وسيام وسيلان .

ومن الكلمات المأثورة عن بوذا :

● قيل إنه وهو محتضر رأى تلميذه يتحب فقال له :

لاتبك يا أناندا ، ألم أخبرك أن من طبائع الأشياء أن تفارق أقرب الناس إلينا وأعزهم علينا ؟ وكيف يمكن أن يظل الشمل مؤتلفا ، ولا يطرأ على التجمع التفرق ؟ ولقد صحبتني طويلا وكنت لى الصديق المعين ، والتابع المخلص الأمين ، الذى لا يحول عهده ، ولا يتبدل ودّه ، ولقد أحسنت الصنيع ، فثابر على جهودك ، وستبلغ رتبة الواصلين .

● الولادة مؤلمة ، والمرض مؤلم ، والشيخوخة مؤلمة ، والحزن والبكاء والحياة واليأس كلها مؤلم ، وتلك هى الحقيقة السامية عن سبب الألم : سببه الشهوة التى تمازجها اللذة ، الشهوة التى تسعى وراء اللذائذ وتسقطها هنا وهناك . وتلك هى الحقيقة السامية عن وقف الألم : أن نبحث هذه الشهوة من أصولها ، فلا تبقى لها بقية فى نفوسنا .

● كما أن حب الأم يحملها على أن تحرص على حياة ولدها ، أو ابنها الوحيد ، ولو أدى ذلك أن تضحي بحياتها ، فكذلك يجب على الإنسان أن ينشئ فى نفسه حبا لاحد له لجميع الكائنات .

● إن أحلامنا وآمالنا ومخاوفنا ورغباتنا ستنتهى كأن لم تكن ، وإن الدهور تنقضى ، والأجيال تمضى ، فليس ثمة ما يتحدى الموت ، لأن الموت شريعة الحياة (١) .

(١) يكره الغافلون ذكر الموت ويتعاضون عن هذه الحقيقة المرة ، وذكر الموت كان من أول هداية الأنبياء ، ومن أخبرهم الحكماء ، فالحياة باطلة ، والموت حق ، قال عيسى عليه السلام « أكثروا من ذكر هازم =

● قيل إن امرأة ثكلت وليدها الوحيد ، فأخذت تحتضنه وتبكي بكاء مراً ، فقالوا لها : اذهبي إلى الحكيم بوذا فهو قادر على أن يعيد الحياة إلى ابنتك ، فذهبت إليه ، فطلب منها أن تأتى له بمقدار من حب الخردل شريطة أن يكون من بيت لم يميت منه أحد ، فكانت تطوف على البيوت ، فيقولون لها : هاك الخردل ولكن مات لنا أب ، وفي بيت آخر ، يقولون لها مات لنا ابن ، وفي بيت ثالث : مات لنا أخ ، ولم تجد بيتاً لم يميت فيه أحد ، ففهمت مقصد الحكيم ، وذهبت إليه ، وآمنت به ، وصارت من أتباعه .

● على الإنسان أن يتغلب على غضبه بالشفقة ، وأن يزيل الشر بالخير ، إن النصر يولد المقت ، لأن المهزوم في شقاء . . ولا تزل الكراهية بالكراهية ، وإنما تزل الكراهية بالحب .

● إن كل من صار لنفسه مصباحاً يهدى ، وكل من صار لنفسه ملاذاً يؤوى ، فلن يلتمس لنفسه من غير نفسه مأوى ، وسيستمسك بالحق مصباحاً ، فلا يطلب من غير نفسه ملاذاً .

= اللذات فإنه ما ذكره أحد في ضيق إلا وسعه عليه ، ولا في سعة إلا ضيقها عليه ، والناس منهم الحمقى الذين لا يذكرونه إلا في اشتداد مرض أو افتقاد عزيز ، ثم تنقضى المناسبة فلا يخطر له الموت على بال ، ومنهم من يذكره - في نفسه - في كل وقت من أوقاته عقلاً وحكمة وموعظة واعتباراً ، كالسافر الذي لا يفارقه ذكر مقصده . وإنما يخاف من الموت من لا يؤمن بدار أخرى غير هذه الدار ، ولا يؤمن ببقاء الروح وخلودها ، فيظن أن بدنه إذا تحلل وصار تراباً ، انحلت نفسه وهلك . ويخاف من الموت من قدم في دنياه الشر ولم يقدم الخير ، فهو خائف من العقوبة التي تحمل به ، والجزاء الذي ينتظره ، وهناك صنف من الناس ختم الله على قلوبهم ، وأعمى بصيرتهم فلا يرون إلا المال والثروة والعقار والأثاث والمقتنيات ، فهم يحزنون لأنهم سيتركون ما أشقوا أنفسهم في جمعه وتحصيله . ولو لم يميت آبائنا وأجدادنا ما وجدنا على الأرض ، ولو لم نمت نحن ما ولد آبائنا ، ولو لم يميت أسلافنا ويقوا على وجه الحياة ما وسعهم هذه الأرض .

● هذه هي الحقيقة السامية عن زوال الألم : اطراح هذا الظمأ اللاهث ،
والتحرر من ريقته .

● لما كان المحيط الكبير ليس له إلا مذاق واحد هو الملح الأجاج ، كذلك
الحال مع هذه العقيدة ، ليس لها إلا مذاق واحد ، هو مذاق الخلاص
والتحرر .

● ليس هناك من نار أشد من الشهوة ، وليس هناك من رمية فاشلة مثل
البغض .

● في يوم من الأيام كان بوذا يدعو لمبادئه بالقرب من إحدى الغابات التي
تقع على سفح جبل ، واتفق أن اشتعلت النيران في الغابة ، فألقى من فوق هذا
الجبل موعظة حذر فيها السامعين من الاشتعال بالنيران التي توقدها الشهوة
والجهل والغضب .

● الإيمان هو بذور زراعتي ، ومقاومتي لنفسي وشهواتها هو الذي يروى
البذور .

● محرائي هو الحكمة ، وقائد محرائي هو التواضع ، والمثابرة هي التي تجرّ هذا
المحراث .

● إن نهر باهوكا يعجز عن تطهير الأحق من خطاياهم ، ولو غطس فيه
العمر كله ، لن يستطيع نهر أن يبرئ مرتكب المعصية ، وأن يزيل الغلّ من
الحقود وأن يعفي المجرم من جنايته . إن مناط التطهر الحق أن تحسن معاملة
الناس ، وألا تتحدث ببهتان ، وألا تسلب أحداً حياته وماله .

كونفشيوس

في العهد الذي ظهر فيه بوذا حكيم الهند ، وصولون المشرع ، وفيثاغورس في اليونان ، وحزقيال ودانيال في بني إسرائيل ، كان كونفشيوس حكيم الصين يبشر بتعاليمه ، وينتقل بين ولايات الصين معلما متجولا في البلاد ، وقد أسندت إليه بعض المناصب الحكومية فقام بأعبائها خير قيام ، وقد وجه همه إلى العناية بالتربية الوطنية ونظام الحكم ، فكان يقدم نصائحه للولاة والحكام ، فاكسب شهرة فائقة في طول البلاد وعرضها ، ونال صيتا أكبر بعد وفاته سنة ٤٧٨ ق . م . وأصبح مسقط رأسه « لو » معبدا تقدم عنده الأضاحي والقرايين ، وأصبح كونفشيوس المجد الحقيقي للروح الصينية ، فقد عبرت أفكاره عن نفسية المجتمع الصيني ، وخلف تراثا ضخما ، فضلا عن أخلاقه الشخصية الجذابة .

والكونفوشية نظام سياسي اجتماعي يستمد دعائمه من الأخلاق ، وإن انتشرت كديانة في بعض جهات آسيا مثل كوريا واليابان . والمبدأ الأساسي فيها عدم الفصل بين السياسة والأخلاق ، والشعور بالمسؤولية الاجتماعية .

والقانون الأخلاق عند كونفشيوس يعتمد على حدّ الوسط ، أو الوسط الذهبي كما يسمى ، ومعناه التوسط بين الإفراط والتفريط ، وهو قانون صعب المنال ، لأنه بالغ الدقة ، ويخفى أمره على كثير من الناس .

يقول ول ديورانت في كتابه « قصة الحضارة » :

« وكانت الأخلاق مطلبه وهمه الأول ، وكان يرى أن الفوضى التي تسود عصره فوضى خلقية ، لعلها نشأت من ضعف الإيمان القديم ، وانتشار الشك السفسطالي في ماهية الصواب والخطأ ، ولم يكن علاجها في رأيه هو العودة إلى العقائد القديمة ، وإنما علاجها هو البحث الجذى عن معرفة أتمّ من المعرفة السابقة ، وتجديد أخلاقى قائم على تنظيم حياة الأسرة على أساس صالح قويم . فالبيت أو الأسرة هي أساس المجتمع ، والفرد المنظم في الأسرة المنظمة ، يسر قيام الحكم الصالح والحكومة الصالحة ، والحاكم الصالح يجب أن يكون المثل الأعلى لشعبة في السلوك الطيب والأخلاق الحسنة ، وإلا صدق قول القائل :

إذا كان رب البيت بالدفع ضاربا
فشيمة أهل البيت كلهم الرقص

وهاك بعض تعاليمه وحكمه :

● رأى في بعض رحلاته الجبلية امرأة تنوح وتولول ، فلما سأها عن سبب بكائها ، أجابته بأن نمرًا مفترسا قضى على أسرتها وافترس زوجها وولدها الوحيد ، فقال لها : وما الذى يضطرك إلى البقاء في هذا المكان الموحش المهلك ، فأجابت المرأة : لأنه لا يوجد هنا حاكم ظالم .

فالتفت كونفشيوس إلى بعض تلاميذه وقال : اكتبوا عنكم .

الحاكم الظالم أشدّ فتكًا من النمر المفترس .

● إن الحكومة هي أعظم شيء في حياة الناس ، لأن الحكومة معناها

الحكم الصحيح ، فإذا سلك الحاكم الطريق السليم ، فإن الأفراد سيقفون أثره ، ويصبحون حسنى السلوك ، ذلك أن الشعب يقلد مايفعله الحاكم ، فإذا لم يسلك الحاكم الطريق السليم ، فإذا تنتظر من الناس أن يفعلوا ؟

● سئل كونفوشيوس عن الحكم فقال : لابد للحكومة من أن تحقق أموراً ثلاثة : أن يكون لدى الناس كفايتهم من الطعام ، وكفايتهم من العتاد الحرفى ، ومن الثقة بحكامهم . فقليل له : فإذا لم يكن بد من الاستغناء عن أحد هذه الشروط ، فأى هذه الثلاثة يجب أن تتخلى عنه أولاً ؟ فقال : العتاد الحرفى . فسئل مرة أخرى : وإذا كان لابد من الاستغناء عن أحد الشرطين الباقين ، فأيهما يجب أن تتخلى عنه ؟ فأجاب فلتتخلّ عن الطعام ، ذلك أن الموت كان منذ الأزل قضاء محتوما على البشر ، أما إذا لم يكن للناس ثقة بحكامهم فلا بقاء للدولة .

● إن الكلام المنق يجعلنا أحيانا عاجزين عن التفرقة بين ما هو حسن وما هو سيئ .

● إن الرجل العاقل لا يحكم على الناس بأقوالهم بل بأفعالهم ، ففى العالم المتحضر نجد المجتمع زاخرا بالأعمال السامية ، بينما فى العالم المتأخر نجد المجتمع زاخرا بالخطب الرئانة .

● عندما أدخل قطرا من الأقطار ، أستطيع أن أعرف بسهولة نوع الثقافة التى تسود فيه ، إذ عندما أجد فى الناس رقة الطبع والشفقة والبساطة فإن هذا يدل على تعلقهم بالشعر ، وعندما يكون الأفراد واسعى الأفق عارفين لماضيهم فإن هذا يدل على تمسكهم بالتاريخ ، أما إذا كان الأفراد كرماء متفاهمين ، فإن هذا يدل على سيادة الموسيقى ، وإذا كان الشعب هادئا مفكرا ذا قوة وملاحظة

فإن هذا يدل على فلسفة التغير ، ولكن إذا ساد التواضع والاحترام والقناعة فإن هذا يدل على سيادة تعاليم الله .

● عندما تسود الألفة بين الزوجة والأولاد والزوج ، فما أشبه المنزل بربابة وعود ، قد تألفت أنغامها . وعندما يعيش الإخوة في تألف وسلام ، فحينئذ يظل إلى الأبد في وحدة وانسجام .

● لا يقلقني في حياتي إلا الأمور الآتية : أن أنسى تفويم أخلاقي وسلوكي ، وأن أهمل دراساتي ، وأن أخفق في اتباع الطريق المستقيم الذي عرفته ورأيت ، وأن أعجز عن تصويب أخطائي ، إن الذي لا يصلح خطاه وقد عرفه ، إنما يرتكب خطأً جديداً .

● سئل كونفشيوس عن حكمه على شخص يحبه كل أفراد القرية فأجاب ليس ذلك بكاف في الحكم عليه ، فسئل عن شخص يكرهه كل أفراد القرية فأجاب : ليس ذلك بكاف في الحكم عليه ، وإنما الشخص الفاضل هو من يحبه الصالحون من أفراد القرية ، وغير الفاضل هو من يكرهه من أفرادها الصالحون .

● لست أبالي مطلقاً إذا لم أشغل منصباً كبيراً ، وإنما الذي أعنى به أن أجعل نفسي خليفاً بذلك المنصب الكبير ، وليس يهمني قط أن الناس لا يعرفوني ، ولكنني أعمل على أن أكون خليفاً بأن يعرفني الناس !

هوميروس

هوميروس الشاعر اليونانى القديم ، قالت عنه الموسوعة العربية :
« أعظم شعراء اليونان ، وصفه نقادهم بأنه البداية والنهاية ، وأنه معلمهم
ونبيهم ، بعث نهضتهم ، وخلق منهم أمة قوية تؤمن بدين واحد ، وتتخذ لغة
واحدة . نظم الإلياذة والأوديسا باللهجة الأيونية التى امتزجت بكثير من
الألفاظ الأيولية .

وكانت المشكلة الهوميرية أخطر موضوع فى الدراسات اليونانية حتى أواخر
القرن التاسع عشر ، ومحملها أن هوميروس لم يوجد ، وأنه بالتالى لم ينظم
الملحمتين ، وبعد الوصول إلى نتائج الحفريات والدراسات اللغوية المقارنة
أجمع النقاد فى القرن العشرين على أن هوميروس وجد بالفعل ، وأنه ناظم
الملحمتين ، ويرجحون أنه عاش فى القرن الثامن قبل الميلاد فى آسيا الصغرى ،
ولقد ادعت كثير من المدن أنه كان منها ، أشهرها أثينا وأزمير وخيوس
وكولوفون .

ويعتبر هوميروس أول شعراء اليونان وأعظمهم شأنًا ، وأشدهم تأثيرا فى
أدباء الغرب جميعا فى مختلف العصور .

ومازالت الإلياذة والأوديسة تعتبران المثل الأعلى لشعر الملاحم ، لامتيازهما
بالروعة والفخامة وسمو الأسلوب ، ولذا ترجمتا إلى معظم اللغات الحية ، وقد

ترجم سليمان البستاني الإلياذة شعرا باللغة العربية في القرن الماضي .
وقال عنه الشهرستاني :

« هو من كبار القدماء ، الذى يجريه افلاطون وأرسطوطاليس فى أعلى
المراتب ، ويستدل بشعره لما كان يجمع فيه من إتقان المعرفة ، ومتانة الحكمة ،
وجودة الرأى ، وجزالة اللفظ »

فإن ذلك قوله :

● لا خير فى كثرة الرؤساء ^(١) .

● من يعلم أن الحياة لنا مستعبدة ، والموت معتق مطلق ، أثر الموت على
الحياة .

● إن الإنسان الخير أفضل من جميع ما على الأرض ، والإنسان الشرير
أخس وأضع من جميع ما على الأرض .

● لين تبخل ، واحلم تعز ، ولا تكن معجبا فتمتن ، واقهر شهوتك ، فإن
الفقير من انحط إلى شهواته .

● الدنيا دار تجارة ، والويل لمن تزود منها بالخنساسة .

● الأمراض ثلاثة أشياء : الزيادة ، والنقصان فى الطبائع الأربع ^(٢) ،
وما تسببه الأحزان ، فشفاء الزائد والنقص فى الطبائع الأدوية ، وشفاء
ما تسببه الأحزان كلام الحكماء والإخوان .

(١) قال الشهرستاني : لما فى كثرة الرؤساء من الاختلاف الذى يأتى على حكمة الرئاسة بالإبطال .

(٢) كان القدماء يعتقدون أن الصحة فى اعتدال الطبائع الأربع وهى الدم والبلغم والمرارة السوداء ،
والمرارة الصفراء ، فإذا زادت إحداها أو نقصت اعتل الجسم .

- العمى خير من الجهل ، لأن أصعب ما يخاف من العمى التهور في بثّر
ينهدّ منه الجسد ، والجهل يتوقع منه هلاك الأبد .
- إن الأدب للإنسان دخر لا يسلب .
- إن الأرض تلد كل شيء ثم تسترده ^(٣) .
- إن كنت ميتا فلا تذهب مذهب من لا يموت .
- إذا أراد الله خلاصك عبرت البحر على البادية .
- إن الأب هو من ربي لا من ولد .
- ليكن فرحك بما تدخره لنفسك دون ما تدخره لغيرك ^(٤) .
- الكريم يحمل ثلاثة عناقيد : عنقود الالتداذ ، وعنقود الشكر ، وعنقود
الشم .
- إني لأعجب من الناس أن مكّنهم الله من الاقتداء بالملائكة ، فيدعون
ذلك ويميلون إلى الاقتداء بالبهائم .
- لكل أمر محمود مقدمة ، ومقدمة كل المحمودات الحياء ، ولكل أمر
مذموم مقدمة ، ومقدمة كل المذمومات الفحّة .
- لا تفعلن شيئا إذا عيّرت به غضبت ، فإنك إذا فعلته كنت أنت القاذف
لنفسك .
- ارع الفضائل ترعك المحبة .

(٣) يقول الله تعالى (منها خلقناكم ، وفيها نعيدكم ، ومنها نخرجكم تارة أخرى) .

(٤) ماتدخره لنفسك : العلم والحكمة ، وماتدخره لغيرك : المال .

سولون

سولون مشرع ومصلح أثيني ، توفي عام ٥٥٩ ق . م ، عهد إليه بالحكم ، ومنح سلطة كاملة ليخفف وطأة الحياة الاقتصادية ، ويعيد النظر في الدستور الأثيني ، فتمّ على يديه كثير من الإصلاحات الدستورية ، كان أهمها توزيع الحقوق والواجبات تبعا لثروة المواطنين ، وفتح أبواب الجمعية التشريعية لكل المواطنين الأحرار ، وإنشاء محاكم شعبية يختار قضاتها من جميع طبقات الأمة ، وبقيت نظمه الأساس الذي قامت عليه «الدولة» .

[من الموسوعة العربية بتصرف] .

قال عنه الشهرستاني : وكان عند الفلاسفة من الأنبياء العظام بعد هرمس وقبل سقراط ، وأجمعوا على تقديمه والقول بفضائله .

ومن حكم سولون :

- تزود من الخير وأنت مقبل ، خير لك من أن تتزود منه وأنت مدبر .
- إن أمور الدنيا حق وقضاء ، فمن أسلف فليقض ، ومن قضى فقد وفى .
- إن فعل الجاهل فى خطابه أن يذم غيره ، وفعل طالب الأدب أن يذم نفسه ، وفعل الأديب ألا يذم نفسه ولا غيره .
- إذا انكبّ الدنّ ، وأريق الشراب ، وانكسر الإناء ، فلا تغتم ، بل قل : كما أن الأرياح لا تكون إلا فيما يباع ويشترى ، كذلك الخسرانات

لا تكون إلا في الموجودات ، فانف الغم والخسارة عنك ، فإن لكل ثمن ،
وليس يجيء بالجنان .

● قيل لسولون : ما الذي يفسد أخلاق الناس ؟ قال : الدرهم .

● وسئل : من الجواد ؟ قال : من جاد بماله ، وصان نفسه عن مال غيره .

● وسئل : ما أصعب الأشياء على الإنسان ؟ فقال : أن يعرف الإنسان

نفسه ، ويكتف سره .

● سئل : أيما أحمد في الصبا ، الحياء أم الخوف ؟ قال : الحياء ، لأن

الحياء يدل على العقل ، والخوف يهول على المقة والشهوة .

● قال سولون لابنه : دع المزاح فإن المزاح لقاح الضغائن .

● سأله رجل فقال : هل ترى أن أتزوج أو أذع ؟ قال : أي الأمرين

فعلت ندمت عليه !

● رأى رجلاً عثراً ، فقال : لأن تعثر برجلك خير من أن تعثر بلسانك .

● سئل : ما الكرم ؟ قال : التزاهة عن المساوي .

● سئل : ما الحياة ؟ قال : التمسك بأمر الله تعالى .

● سئل : ما النوم ؟ فقال : النوم مونة خفيفة ، والموت نومة طويلة .

● سئل : ما فضل علمك على علم غيرك ؟ فقال : معرفتي بأن علمي

قليل .

● ليكن اختيارك من الأشياء حديثها ، ومن الإخوان أقدمهم .

● أنفع العلم بما أصابته الفكرة ، وأقله نفعاً ما قلته بلسانك .

● ينبغي أن يكون المرء حسن الشكل في صغره ، وعفيفاً عند إدراكه ،

وعدلاً في شبابه ، وذا رأى في كهولته ، وحافظاً للستر عند الغناء ، حتى

لا تلحقه الندامة .

● ينبغي للشباب أن يستعد لشيخوخته مثل ما يستعد الإنسان للشقاء من البرد الذي يهجم عليه .

● يا بني ، احفظ الأمانة تحفظك ، وصنها حتى تصان .

● لا تكرموا الجاهل فيستخف بكم ، ولا تتصلوا بالأشرار فتعدوا فيهم ، ولا تعتمدوا الغنى إن كنتم تلامذة الصديق ، ولا تهملوا أمر أنفسكم في أيامكم ولياليكم ، ولا تستخفوا بالمساكين في جميع أوقاتكم .

● أخلاق محمودة وجدتها في الناس ، إلا أنها توجد في قليل ؛ صديق يحب صديقه غائبا كمحبته حاضرا ، وكرم يكرم الفقراء كما يكرم الأغنياء ، ومقر بعيوبه إذا ذكرت ، وذاكر يوم نعيمه في يوم يؤسه ، ويوم يؤسه في يوم نعيمه ، وحافظ لسانه عند غضبه ، وأمر بالمعروف دائما .

● جوعوا إلى الحكمة ، واعطشوا إلى عبادة الله تعالى ، قبل أن يأتيكم المانع منها .

زينون

في تاريخ الفلسفة اليونانية شخصيتان عرفتا باسم زينون ، أحدهما زينون الإيلي ، نسبة إلى إيليا بإيطاليا ، وقد عاش فيما بين سنتي ٤٩٠ ، ٤٣٠ ق . م والآخر زينون الرواقى ٣٣٦ - ٢٦٤ ق . م وهو مؤسس المذهب الرواقى وزينون الإيلي هو تلميذ برميندس ، وكان منطقيا مقتدرا على الحجاج فدافع عن مذهب أستاذه الذى يرى أن الوجود يقوم على أصلين ، هما الوحدة والثبات .
وأما زينون الرواقى الذى ولد بعد وفاة زينون الإيلي بنحو قرن فقد اهتم بالمنطق والطبيعة والأخلاق ، يقول زينون : « الفلسفة بستان ؛ المنطق سوره ، والطبيعة شجره ، والأخلاق ثمره » .

والفلسفة الرواقية تدعو الناس إلى الصبر والاحتمال .

وقد تحدث الشهرستانى حديثا مقتضيا عن زينون الأكبر فقال : زينون الأكبر بن ماوس من أهل قنطس من الحكماء الأصول .

وأورد له هذه الحكم :

● أكثرنا من الإخوان ، فإن بقاء النفوس ببقاء الإخوان ، كما أن شفاء الأبدان بالأدوية .

● رأى زينون فتى على شاطئ البحر محزوناً يتلهف على الدنيا ، فقال له : يا فتى ، ما يلهفك على الدنيا ! ! لو كنت فى غاية الغنى وأنت راكب لجة

البحر قد انكسرت السفينة وأشرفت على الغرق ، كانت غاية مطلوبك النجاة وتوفت كل ما في يدك ! قال : نعم . قال : لو كنت ملكا على الدنيا وأحاط بك من يريد قتلك ، كان مرادك النجاة من يده وتوفت كل ملكك ! قال : نعم ، قال : فأنت الغنى ، وأنت الملك الآن ، فتسلى الفتى بما سمع .

- كن بما تأتى من الخير مسرورا ، وبما تجنب من الشر محبورا .
- قيل لزينون : أى الملوك أفضل ؟ ملك اليونانيين أم ملك الفرس ؟ قال : من ملك غضبه وشهوته .

- سئل زينون بعد أن هرم : ما حالك ؟ فقال : هوذا أموت قليلا قليلا .
- قيل لزينون : إذا مت من يدفئك ؟ قال : من يؤذيه نتن جيفتى .
- سئل زينون : ما الذى يُهرم ؟ قال : الغضب والحسد ، وأبلغ منها الغم .

- لا تحف موت البدن ، ولكن يجب عليك أن تحاف موت النفس ، فقيل له : لم قلت : خف موت النفس ، والنفس الناطقة لا تموت ؟ فقال : إذا انتقلت النفس الناطقة من حذاء النطق إلى حذاء البهيمة - وإن كان جوهرها لا يبطل - فقد ماتت من العيش العقلى .

- أعط الحق من نفسك ، فإن الحق ينخضمك إن لم تعطه حقه .
- محبة المال وتد الشر ، لأن سائر الآفات تتعلق بها ، ومحبة الشهوات وتد العيوب ، لأن سائر العيوب متعلقة بها .

- أحسن مجاورة النعم فتنعم بها ، ولا تسيء بها فتسيء بك .
- إذا أدركت الدنيا الهارب منها جرحته ، وإذا أدركها الطالب لها قتلته .

● سئل زينون : بأى شىء يخالف الناس فى هذا الزمان البهائم ؟ فقال :
بالشرور .

● قبل لزينون [وكان لا يقتنى قوت يومه] إن الملك يبغضك ، فقال :
وهل يجب الملك من هو أغنى منه ^(١) .

(١) إذا رزق الإنسان القدرة على الاستغناء كان ملكا متوجا ، فأقل الناس حاجة أغناهم ، ولقد نرى كثيرا ممن يعتزون بغناهم وثراتهم يبغضون كل فقير يعتز بنفسه ويشخصه ، ويعتبر المال شيئا خارجا عن النفس ، فلا يقيم له حسابا فى ميزان العلاقات الإنسانية ، لأن المال فى الحقيقة لا يدفع ألما ، ولا يشى مرضا ، ولا يحول دون الموت ، فليكن كفى أصحاب الأموال من كبرهم وخيلائهم ، فالغنى والفقير كلاهما مرزوق بعلامه وشرابه ولباسه ومسكنه ، والتفاوت فى هذه الأشياء لا يخطر له ، والقليل من الطعام يملأ البطن ، والبسيط من الثياب يسر العورة ، والغنى والسعادة فى القناعة والرضا .

بقراط

طبيب يوناني عاش فيما بين ٤٦٠ ، ٣٧٠ ق . م يعرف بأبي الطب ، فقد فصل الطب عن الخرافات والغيبيات ، وأقامه على أساس علمي .
ومجمل نظريته عن المرض أن الجسم يحتوى على أربعة أخلاط : الدم والبلغم والسوداء والصفراء ، وأن علاقة هذه الأخلاط بعضها ببعض تقرر صحة المرء ومزاجه ، وقد أبطل الطب الحديث هذه النظرية ، وقد عرف في الكتب العربية باسم بقراط ، وترجم العرب كتبه إلى العربية وأضافوا إليها شروحا وتفسيرات .
وهو أول من وضع ميثاق شرف لمهنة الطب في التاريخ ، وأظن أن للأطباء قسما يقسمونه يسمى قسم : بقراط ^(١) .

ويقول الشهرستاني : بقراط واضع علم الطب الذي قال بفضله الأوائل والأواخر ، وكان أكثر حكمته في الطب وشهرته به . . وكان لا يأخذ على المعالجة أجره من الفقراء وأوساط الناس . . وله أيمان معروفة على هذه الشرائط .

ومن حكمه :

● من سقى السم من الأطباء ، وألقى الجنين ، ومنع الحبل ، واجترأ على الجنين ، فليس من شيعتي .

(١) وقد ازداد الإحساس مؤخرا بضرورة وضع موثيق شرف للمهن المختلفة .

● ومن حكمة بقراط العملية أن أميرا عشق جارية من جوارى أبيه الملك ، وهام بها حتى اعتلت صحته ، ونهك بدنه ، واصفر لونه ، فأحضر بقراط ، فجس نبضه ، وفحصه ، فلم ير أثر علة ، فذاكره حديث العشق ، فرآه يبشّر لذلك ويضطرب ، فاستخبر الحال من مربية الأمير فأفادت بأنه لا يخرج من القصر ، فطلب بقراط من الملك أن يجعل رئيس الخصيان تحت طاعته ، فأمر الملك بذلك ، فطلب بقراط من رئيس الخصيان ، أن يخرج له جميع جوارى الملك ونسائه ، ففعل ذلك وبقرراط يحس نبض الأمير ، فلما خرجت إحدى محظيات الملك ودخلت غرفة الأمير لحظ بقراط أن نبض الأمير قد اشتد ، فعرف أن الأمير بعشق هذه المحظية ، ففصار بقراط إلى الملك وقال له : ابن الملك قد عشق من الوصول إليها صعب ، قال : ومن ذاك ؟ قال : هو يجب حليلتي ، قال : أنزل عنها ولك عنها بدل ، فتحازن بقراط ووجم ، وقال : هل رأيت أحدا كلف أحدا طلاق امرأته ؟ ولا سيما الملك في عدله ونصفته يأمرني بمفارقة حليلتي ، ومفارقتها مفارقة روحى ؟ قال الملك : إني أوتر ولدى عليك ، وأعوضك من هي أحسن منها ، فامتنع حتى بلغ الأمر إلى التهديد بالسيف .

حينئذ قال بقراط : إن الملك لا يسمى عدلا حتى يتصف من نفسه ما يتصف من غيره ، أرايت لو كانت العشيقة حظية الملك ؟ قال : يا بقراط عقلك أتمّ من معرفتك ، ونزل عنها لابنه ، وبرئ الفتى من مرضه .

● قيل لبقرراط : ما أفضل ما يقتنى الإنسان ؟ قال : الصديق المخلص .

● قيل لبقرراط : أى العيش خير ؟ قال : الأمن مع الفقر خير من الغنى مع

الخوف .

● قبل لبقرات : لم يثقل الميت ؟ قال : لأنه كان اثنين ، أحدهما خفيف رافع ، والآخر ثقیل واضع ، فلما انصرف أحدهما وهو الخفيف الرفع نقل الثقیل الواضع .

● مثل بقراط : ما بال الإنسان أثور ما يكون بدنه إذا شرب الدواء ؟ قال : مثل ذلك مثل البيت ، أكثر ما يكون غبارا إذا كنس !
● غذاء الطبيعة من أنجع أدويتها .

● الإقلال من الضار خير من الإكثار من النافع .
● إياك أن تأكل إلا ما تستمرئ ، وأما ما لا تستمرئ فإنه بأكلك !
● ما كان كثيرا فهو مضاد للطبيعة ، فلتكن الأطعمة والأشربة والنوم والجماع والتعب قصدا .

● كان له ابن لا يقبل الأدب ، فقالت له امرأته : إن ابنك هو منك فأذبه ، قال لها : هو مني طبعاً ، ومن غيري نفساً ، فما أصنع به ؟

● قال لتلاميذه : اقساموا الليل والنهار ثلاثة أقسام ؛ فاطلبوا في القسم الأول العقل الفاضل ، واعملوا في القسم الثاني بما أحرزتم من ذلك العقل ، ثم عاملوا في القسم الثالث من لا عقل له ، وانهمزوا من الشر ما استطعتم .

● ودخل على عليل فقال له : أنا والعلة وأنت ، فإن أعنتني عليها بالقبول لما نسمع مني صرنا اثنين ، وانفردت العلة فقويتا عليهما ، والاثنان إذا اجتمعا على واحد غلباه .

● العمر قصير ، والصناعة طويلة ، والوقت ضيق ، والزمان جديد ، والتجربة خطر ، والقضاء عسر .

● الحيطان والبروج لا تحفظ المدن ، ولكن تحفظها آراء الرجال وتدير الحكماء .

● لما حضرته الوفاة قال : خذوا جامع العلم مني : من كثر نومه ، ولانت طبيعته ، وتديت جلده طال عمره .

● استهينوا بالموت فإن مرارته في خوفه .

ديمقريطس

يقول عنه الشهرستاني « وهو من الحكماء المعبرين في زمان بهمن بن اسفنديار ، وهو وبقراط كانا في زمن واحد قبل أفلاطون ، وله آراء في الفلسفة ، وخصوصا في مبادئ الكون والفساد ، وكان أرسطو يؤثر قوله على قول أستاذه أفلاطون الإلهي ، وما أنصف » .

وديمقريطس يرى أن العالم مؤلف من ذرات متجانسة في طبيعتها ، لكنها مختلفة حجماً وشكلاً وثقلاً ، ولا تدرك بالحواس ، ولا تنقسم ، ولا تنفخ وتتحرك دائماً فيلتصق بعضها ببعض ، وتتكون الأجسام .

ويطبق مذهبه هذا على الإنسان والكائنات الحية ، فيرى أن الكائنات الحية تحيا عن طريق ذرات من نوع خاص ، ذرات نارية لطيفة مستديرة ، تختلط بذرات الجسم في كل مكان منه ، ولكن يلاحظ أنها تتجمع في أماكن معينة ، ففي العقل أو المخ توجد أرق أنواع الذرات ، وعن هذا الطريق ينشأ التفكير ، وفي القلب نوع أدنى من الذرات وعن هذا الطريق ينشأ الخيال ، وهناك نوع ثالث في الكبد وعنه تنشأ العواطف . .

ويرى أن التأثيرات التي تأتي من الخارج على شكل ذرات سيالة تنتقل إلى أعضاء الحس ، ومنها إلى العقل .
وبهنا رأيه في الأخلاق فهو يتصورها تصورا حسيا ويرى أن السعادة في

اللذة والخلو من الألم ، وقد انتهج طريقه تلميذه أبيقور ، ولكنه انتهى إلى القول بالسعادة العقلية التي تتحقق بالهدوء والسكينة والسلام النفسى .

ومن حكم ديمقريطس :

● إن الجمال الظاهر يشبه به المصورون بالأصباغ ، ولكن الجمال الباطن لا يشبه به إلا من هو له بالحقيقة ، وهو مخترعه ومنشئه .

● ليس ينبغى أن تعدّ نفسك من الناس ما دام الغيظ يفسد رأيك ويتبع شهوتك .

● ليس ينبغى أن يمتحن الناس فى وقت ذلتهم ، بل فى وقت عزتهم وملكتهم ، وكما أن الكير يمتحن به الذهب ، كذلك الملك يمتحن به الإنسان فيتبين خيره وشره .

● ينبغى أن تأخذ فى العلوم بعد أن تنفى عن نفسك العيوب ، وتعودها الفضائل فإنك إن لم تفعل هذا ، لم تستفيع بشيء من العلوم .

● من أعطى أخاه المال فقد أعطاه خزائنه ، ومن أعطاه علمه ونصيحته فقد وهب له نفسه .

● لا ينبغى أن تعدّ النفع الذى فيه الضرر العظيم نفعاً ، ولا الضرر الذى فيه النفع العظيم ضرراً ، ولا الحياة التى لا تحمد أن تعدّ حياة .

● مثل من قنع بالاسم كمثّل من قنع عن الطعام بالراحة .

● عالم معاند خير من جاهل منصف .

● ثمرة الغرة^(١) التوانى ، وثمره التوانى الشقاء ، وثمره الشقاء ظهور البطالة

(١) الغرة : بالكسر ، الغفلة .

وثمره البطالة السفه والعبث والندامة والحزن .

● يجب على الإنسان أن يطهر قلبه من المكر والخديعة ، كما يطهر بدنه من أنواع الخبث .

● لا تطمع أحداً أن يطأ عقبك اليوم فيطأك غداً .

● لا تكن حلواً جداً لئلا تبلع ، ولا مرّاً جداً لئلا تلفظ .

● ذنب الكلب يكسب له الطعام ، وفمه يكسب له الضرب .

● قيل له : لا تنظر ، فغمض عينيه ، قيل له : لا تسمع ، فسد أذنيه .

● قيل له : لا تتكلم ، فوضع يده على شفتيه . قيل له : لا تعلم ، قال : لا أقدر^(٢) .

● مثل العلم مع من لا يقبل وإن قبل لا يعمل ، كمثل دواء مع سقيم وهو لا يداوى به .

(٢) معنى الحكمة أن الإنسان يستطيع أن يستغنى عن حواسه ، أما عقله فلا .

سقراط

سقراط أحد ثلاثة فلاسفة من أكابر الفلسفة اليونانية ، ولد حوالى سنة ٤٦٩ ومات سنة ٣٩٩ ق . م ، كان أبوه نحاسا يصنع التماثيل وكانت أمه قابلة تولد النساء ، صعد إلى معبد دلفى فقالت له كاهنة المعبد : أنت أحكم اليونان ، فلم يفهم قولها ، حتى تبين له أنه جاهل كغيره ، لكنه يعلم أنه جاهل ، وهم لا يعلمون ، أهمل شؤنه الخاصة ، واعتقد أن له رسالة فى الإصلاح الخلقى والعقلى ، فسار فى الطرقات والأسواق والملاعب ، يتحدث إلى الناس فى الفضيلة والعدل والتقوى ، ويدخل مع السوفسطائيين فى جدل وحوار ، وقد عنى بهدم مذهبهم ، فهم يزعمون أنه لا حقيقة لشيء من الأشياء ، وأن الحق ما يراه الشخص حقا ، وأن الحواس هى الطريق الوحيد إلى المعرفة .

أما محور فلسفة سقراط فهو القول بالحقائق الثابتة التى يمكن استنباطها من الحالات الجزئية المتغيرة ، وأن الإنسان إذا أدرك بعقله فضيلة من الفضائل سلك بمقتضاها ، فالعلم والفضيلة شيء واحد لا يختلف باختلاف الأفراد ، وإذن فالجهل مصدر الفساد والشر ، والعلم مصدر الخير والصلاح .

وكانت آراؤه سببا فى أن كاد له أعداؤه فاتهموه بأنه يفسد أخلاق الشبان ويغريهم بتعاليمه ، فحوكم وحكم عليه بأن يشرب السم ، فشره راضيا مسرورا ، ورفض خطة من تلاميذه بتيسير طريق الهرب أمامه .

يقول عنه الشهرستاني : سقراط بن سقرينسقوس الحكيم الفاضل الزاهد ، من أهل أثينية ، وكان قد اقتبس الحكمة من فيثاغورس وأرسالاولس ، واقتصر من أصنافها على الإلهيات والأخلاقيات ، واشتغل بالزهد ورياضة النفس ونهذيب الأخلاق ، وأعرض عن ملذات الدنيا ، واعتزل إلى الجبل ، وأقام في غار به ، ونهى الرؤساء الذين كانوا في زمانه عن الشرك وعبادة الأوثان ، فثوروا عليه العامة ، وألجئوا ملكهم إلى قتله ، فحبسه الملك ، ثم سقاه السم ، وقضيته معروفة .

قال الشهرستاني : ومما اختلف فيه فيثاغورس وسقراط : أن الحكمة قبل الحق أم الحق قبل الحكمة ؟ وأوضح القول فيه بأن الحق أعم من الحكمة ، إلا أنه قد يكون جليا ، وقد يكون خفيا ، وأما الحكمة فهي أخص من الحق ، إلا أنها لا تكون إلا جلية ، فإذا كان الحق مبسوط في العالم ، مشتمل على الحكمة المستفيضة في العالم ، والحكمة موضحة للحق المبسوط في العالم ، والحق ما به الشيء ، والحكمة ما لأجله الشيء .

ومن حكم سقراط :

● الحكمة إذا أقبلت خدمت الشهوات العقول ، وإذا أدبرت خدمت العقول الشهوات .

● لا تكرهوا أولادكم على آثاركم فإنهم مخلوقون لزمان غير زمانكم .

● قلوب المفرقين في المعرفة بالحقائق منابر الملائكة ، وبطون المتلذذين

بالشهوات قبور الحيوانات الهالكة .

● للحياة حدان : أحدهما الأمل ، والثاني الأجل ، فبالأول بقاؤها

وبالآخر فناؤها .

● عندما فتشت عن علة الحياة وجدت الموت ، وعندما وجدت الموت ألفت الحياة .

● ينبغي أن تغتم بالحياة وتفرح بالموت ، لأننا نحيا للموت ، ونموت لنحيا .

● يكفي من تأجج النار نورها .

● لو أن لسانا صادقا أمر جبلا أن يزول لزال .

● من غلب عقله على هواه افتضح .

● قيل لسقراط : ما رأيك قط مغموما ، فقال : لأنه ليس لى شىء متى ضاع اغتمت عليه .

● أضر الأشياء على الإنسان رضاه عن نفسه ، فإن من رضى عن نفسه انقطع عليه بلوغ نهاية ما يلزمه .

● الحكمة سلم العروج إلى الله تعالى .

● دواء الغضب الصمت .

● راحة الحكماء فى وجود الحق ، وراحة السفهاء فى وجود الباطل .

● رأى سقراط امرأة مصلوبة على شجرة فقال : ليت الشجر كله أثمر مثل هذه الثمرة ^(١) .

● رأى سقراط صيادا واقفا على امرأة جميلة يتنازع منها شيئا ، فقال له سقراط : لتفعلك صناعتك ، إن هذه مصيدة فاحذر أن تقع فيها .

(١) لعل سر عداوة الحكماء للمرأة أنها تغلب العاطفة على العقل ، وتهتم بالتألف من الأمور ، وستأنى أقوال ليدوجانس الكلبي شبيهة بقول سقراط ، بل ربما أوجع . ونحن لا نوافق الحكيمين على رأيها ، فالرجل والمرأة كلاهما مخلوق من نفس واحدة ، ولا تفاضل بينهما إلا بالعمل الطيب الصالح .

● شتم بعض السفهاء سقراط ، فاستأذنه تلامذته في جوابه فقال : ليس بحكيم من أذن في الشر .

● العدل أمان النفس .

● العشق قوة هياها الله تعالى لبقاء الحيوان ، وإنما صار العاشق يعشق أحسن الصور ، ليكون ما يثمر أحسن الصور .

● عطية كل امرئ على قدر همته .

● قيل لسقراط : متى ابتدأت بطلب الفضيلة ؟ فقال : منذ ابتدأت بتوبيخ نفسي .

● قال سقراط لامرأته حين جزعت لقتله ، ما يبكيك ؟ قالت : لأنك تقتل مظلوما ، فقال : يا عاجزة الرأي ، أكنت تريد أن أقتل بحق ؟ !
● قال سقراط لفتى استشاره في الزواج : احذر أن يعرض لك كما يعرض للسلك مع الشبكة ، فإن السلك الخارج منها يطلب الدخول فيها ، والداخل فيها يطلب الخروج منها .

● قيل لسقراط : ما بالك تعاشر الأحداث دائما ؟ فقال : أفعل ما يفعله الراضية ، فإنهم يرومون رياضة الأفلاء دون القرح (٢) .

● قيل لسقراط : ما بال تلاميذك يقولون الشعر وأنت لا تقوله ؟ فقال : أنا كالمسنن الذي يجعل الحديد قاطعا ، وهو لا يقطع .
● قيل لسقراط : أى السباع أجمل ؟ قال : المرأة .

(٢) الراضية : من يدربون الخيل ، والأفلاء جمع فلو يفتح الفاء وسكون اللام وهو المهر ، والقرح بضم القاف وتشديد الراء مع الفتح هو القرس الكبير .

● قيل لسقراط : ذكرت لفلان فلم يعرفك ؟ فقال : لأنى لا أعنى بمعرفة خسيس .

● اللذة خناق من غسل .

● مال العالم معه حيث سلك (٣) .

● امتحن المرء بفعله لا بقوله .

● ما أبعد من استهوته الشهوات من أن يكون فاضلا .

● من أعطى الحكمة فجزع لفقد الذهب والفضة ، كان كمن أعطى

السلامة ، فجزع لفقد الوصب ، لأن ثمرة الحكمة السلامة ، وثمره الذهب والفضة الألم والشقاوة .

● من عدم العقل لم يزد السُلطان عزا ، ومن عدم القناعة لم يزد المال

غنى ، ومن عدم الإيمان لم تزد الرواية فقها .

● نظر سقراط إلى شيخ يحب النظر فى العلوم ويستحى من ذلك ؛ فقال

له : يا هذا ، تستحى أن تكون أفضل مما أنت عليه فى آخر عمرك .

● ينبغى للعاقل أن يخاطب الجاهل مخاطبة الطبيب للمريض .

● قال سقراط لبعض تلاميذه : تزوج يا بنى ، فإنك إن ظفرت بزوجة

طيبة عاقلة عشت سعيدا ، وإن رزئت بزوجة طائشة مناكفة صرت فيلسوفا (٤) .

(٣) لأن علمه محفوظ فى صدره وعقله .

(٤) يقول الرسول ﷺ « الدنيا متاع ، وخير متاعها الزوجة الصالحة » .

أفلاطون

أفلاطون فيلسوف يوناني تتلمذ على سقراط ، ولد حوالى سنة ٤٢٧ وتوفى سنة ٣٤٧ ق . م أسس فى أثينا أكاديمية لتعليم الفلسفة والرياضة ، ومؤلفاته عبارة عن محاورات ، منها المجموعة المعروفة باسم المحاورات السقراطية . وفلسفة أفلاطون تدور حول الجدل والطبيعة والأخلاق ، وتأتى نظرية المثل فى مقدمة الآراء التى انفرد بها ، وعحصل هذه النظرية أن المعانى الكلية ذات وجود فى الخارج مستقل عن وجود الجزئيات التى تتمثل فيها تلك المعانى ، بمعنى أن لكل نوع من أنواع الموجودات مثال أو فكرة جاءت الأفراد الجزئية على مثاله ، وبمقدار ما يقترب الفرد من مثاله يحقق ماهية نوعه ، وهذه المثل ثابتة دائمة سرمدية .

وأعلى مثال هو فكرة الخير ، وهو فى عالم المثل بمثابة الشمس فى عالم المحسوسات ، فكما أن المحسوسات لا ترى إلا فى ضوء الشمس ، فكذلك لا ترى الأفكار إلا فى ضوء مثال الخير .

ويرى أفلاطون أن عالم الجزئيات ليس له وجود حقيقى إلا بمقدار ما يشارك فى عالم المثل ، ولولا المثل لما فهم عالم المحسوسات ، فأنت تعرف أن هذا الفرد إنسان ، لأنك أولا تعرف مثال الإنسان .

والنفس الإنسانية كانت قبل حلولها فى الجسد تعيش فى عالم المثل فانطبعَت عليها ، ولذلك فمعرفة الإنسان لماهيات الأشياء تسبق تجربته الحسية .

والمعرفة عند أفلاطون تذكر لما انطبعت به النفس قبل حلولها في الجسد ،
ولست تحصيلًا من التجربة .

والنفس خالدة ، لأنها بسيطة ، والبسيط لا يتحلل .

والفضيلة عنده هي سيطرة الجانب العقل من النفس على جانبي الشهوة
والغضب ، والعدل تحقيق فضيلة العقل ، والحكمة هي ضبط الشهوة بالعفة ،
والغضب بالشجاعة .

والمجتمع عنده يشبه قوى النفس ، فالحكام والفلاسفة يمثلون عقل
المجتمع ، والشجاعة هي طبقة الحراس ، والعفة هي طبقة العمال ، والعدل في
تحقيق هذه الفضائل الثلاث ، بأن تلتزم كل طبقة حدودها .

وقد حظيت فلسفة أفلاطون بالقبول من العقل الإسلامي ، لقوله بالتوحيد
كما نالت نظريته في خلود الروح أو النفس^(١) اهتمام فيلسوف الإسلام الشيخ
الرئيس ابن سينا ، فصورها أجمل تصوير في قصيدته العينية المشهورة ، وهي
قصيدة غنية بالمعاني والإيحاءات والرموز ، ونستأذن القارئ في أن نردها على
مسمعه يقول ابن سينا :

هبطت إليك من المحلّ الأرفع ورقاء ذات تعزز وتمنّع
محجوبة عن كل مقلة عارف وهي التي سمرت ولم تتبرقع
وصلت على كره إليك وربما كرهت فراقك وهي ذات تفجع
أنفت وما أنست فلما واصلت ألفت مجاورة الخراب البلقع

(١) عالجنا هذه القضية في مقال نشر بمجلة الثقافة في شهر مايو سنة ١٩٧٨ ، وقد أشرنا إليه في

هامش سابق .

وأظنها نسيت عهداً بالحمى
 حتى إذا اتصلت بهاء ديوطها
 علفت بها ثاء الثقيل فأصبحت
 تبكى إذا ذكرت عهداً بالحمى
 وتظلّ ساجدة على الدمن التي
 إذ عاقها الشوك الكثيف وصدّها
 حتى إذا قرب المسير من الحمى
 وغدت مفارقة لكل مخلف
 سجت وقد كشف الغطاء فأبصرت
 وغدت تغرد فوق ذروة شاهق
 فلائى شيء أهبطت من شامخ
 إن كان أهبطها الإله لحكمة
 فهبوطها إن كان ضربة لازب
 وتعود عالمة بكل خفية
 وهى التى قطع الزمان طريقها
 فكأنها برق تألّى بالحمى
 أنعم برّد جواب ما أنا فاحص

ومنازلاً بفراقها لم تقنع
 عن ميم مركزها بذات الأجرع
 بين المعالم والطلول الخضع
 بمدامع تهيمى ولم تتقطع
 درست بتكرار الرياح الأربع
 قفص عن الأوج الفسيح المربع
 ودنا الرحيل إلى الفضاء الأوسع
 عنها ، حليف الترب غير مشيع
 مالىس يُدرك بالعيون الهجّع
 والعلم يرفع كل من لم يرفع
 عال إلى قعر الحضيض الأوضع ؟
 طويت على الفدّ اللبيب الأروع
 لتعود سامعة لما لم تسمع
 فى العالمين فخرقها لم يرقع
 حتى إذا غربت بغير المطلع
 ثم انطوى فكأنه لم يلعب
 عنه فنار العلم ذات تشعشع

ونتقل الآن إلى إيراد شيء من حكمه :

ومن حكم أفلاطون :

● إن الأشياء التي لا ينبغي للإنسان أن يجهلها ، منها : أن له صانعا ، وأن صانعه يعلم أفعاله .

● العالم عالمان ، عالم العقل وفيه المثل العقلية والصور الروحانية ، وعالم الحس وفيه الأشخاص الحية والصور الجسمانية .

● إن النفوس كانت في عالم الذكر مغتبطة مبهجة بعالمها وما فيه من الروح والبهجة والسرور ، فأهبطت إلى هذا العالم حتى تدرك الجزئيات ، وتستفيد ما ليس لها بذاتها بواسطة القوى الحسية ، فسقطت رباشها قبل الهبوط ، فهبطت حتى يستوى ريشها ، وتطير إلى عالمها بأجنحة مستفادة من هذا العالم .

● ينبغي للمرأة أن ينظر كل يوم إلى وجهه في المرآة ، فإن كان قبيحا لم يفعل قبيحا فيجمع بين قبيحين ، وإن كان حسنا لم يشبه بقبيح .

● إنك لن تجد الناس إلا أحد رجلين ، إما مؤخرا في نفسه قدّمه حظه ، أو مقدّما في نفسه أخره دهره ، فارض بما أنت فيه اختيارا ، وإلا رضيعت اضطرابا .

● إن الفضيلة لا تتحقق بعمل واحد فاضل ، ولكن لتكون حقيقة ينبغي أن تكون نتيجة لماض عملي طويل .

● إذا بلغ المرء من الدنيا فوق مقداره تنكرت أخلاقه للناس^(٢) .

(٢) لا يفعل هذا إلا اللئيم ، أما الكرام فهم كما قال الشاعر :

إن الكرام إذا أسروا ذكروا من كان يألفهم في الوطن الحشن

● إذا أردت أن تعرف طبقتك من الناس فانظر إلى من تحبه لغير علة .
 ● إن الكتاب إذا فارق واضعه ، فلا بدّ قبل وقوعه إلى من يعرف قدره ،
 ويمكنه الانتفاع به ، من أن يقع في أيدي جهال يستهينون به ، ويفقدون
 واضعه ، بمزلة ما ينال الصبي من الشتم واللطم من سفهاء الناس .
 ● إحسانك إلى الحر يحركه إلى المكافأة ، وإحسانك إلى الوغد يحركه على
 معاودة المسألة .

● إذا صادقت رجلا وجب عليك أن تكون صديق صديقه ، ولا يجب
 عليك أن تكون عدو عدوه ، لأن هذا إنما يجب على خادمه ، ولا يجب على
 مماثل له .

● إذا قامت حجتك في المناظرة على كريم أكرمك ووقرك ، وإذا قامت
 على خسيس آذاك واضطفتها لك .

● إذا فسد الزمان كسدت الفضائل وضرت ، ونفقت الرذائل
 ونفعت (٣) .

● إذا كان العشق من أجل قوى النفس ثبت ولم يتغير ، وإذا كان من أجل
 الجسد تغير بتغير الصورة والمزاج .

● أحسن مافي الأنفة الترفع عن معائب الناس ، وترك الخضوع لما زاد على
 الكفاية .

● إذا طلبت المال فاجعل زمان الاكتساب له أطول من زمان الاستمتاع
 به ، وإذا طلبت العلم فاجعل زمان الارتياض به أطول من زمان الجمع له .

(٣) في هذا المعنى يقول عمر بن الخطاب رضى الله عنه « الناس يزمانهم أشبه منهم بآبائهم » .
 ويقول المتنبي :

نعيب زماننا والعيب فينا وما لزماننا عيب سوانا

● أفضل الملوك من بقى بالعدل ذكره ، واستحلى من أتى بعده فضائله .
● إذا حاکمت رجلاً فليكن فكرك فى حجته عليك أقوى من فكرك فى حجتك عليه ، واحذر أن يسبقك إلى الحق ، فإن سبقك إليه فرجوعك إلى الصواب أحسن من ظفرك به .

● أضعف الناس من ضعف عن كتمان سره ، وأقواهم من قوى على غضبه ، وأصبرهم من ستر فاقته ، وأغناهم من قنع بما تيسر له .

● إذا كبرت النفس استشعرت الخلود ، فعلت من الجميل ما يبقى على الأزمنة المتطاولة ، وإذا نقصت آثرت عاجل الانتفاع على آجل الذكر .

● البخيل يسخو من عرضه بمقدار ما يئخل به من ماله .

● البخلاء عفوهم عن عظيم الجرم أسهل عليهم من المكافأة على صغير الآلاء^(٤) .

● بحب الدنيا صُمّت الأسماع عن الحكمة ، وعميت القلوب عن نور البصيرة .

● التقوى رأس النجاح ، والتقى مفتاح الفضائل .

● تزينوا بالعدل والبسوا ثوب العفاف تفلحوا .

● اتقوا صولة الكرم إذا جاع ، واللثيم إذا شبع .

● تبكيت الرجل بالذنب بعد العفو إزراء بالصنيعة^(٥) .

● حرام على الملك السكر ، لأنه حارس المملكة ، ومن القبيح أن يحتاج الحارس إلى من يحرسه .

(٤) الآلاء : النعم

(٥) الصنيعة : المعروف

- الحلم لا ينسب إلا لمن قدر على السطوة^(٦).
- ليكن صديقك بمنزلة الغصن من الشجرة ينجذب معك في يدك ، فإذا خليت رجع إلى موطنه من الصلة وحسن المحافظة .
- الحر يزيد محلك عنده تقدمه عليك ، والسفلة ينقصك ذلك عنده .
- الدليل على ضعف الإنسان أنه ربما أتاه الحظ من حيث لا يحتسب ، والمكروه من حيث لا يرتقب .
- ذوو العيوب يستهدون عيوب الناس ، ويصدقون من زيادة الخبر عنها ، ليتسع العذر فيما هم عليه منها .
- الأسخياء يشتمون بالبخلاء عند الموت ، والبخلاء يشتمون بالأسخياء عند الفقر .
- الأشرار يتبعون مساوئ الناس ويتركون محاسنهم ، كما يتبع الذباب الموضع الفاسد من الجسد ويترك الصحيح منه .
- الشهوات ضد الفكر .
- شرف العقل على الهوى أن العقل يملكك الزمان والهوى يستعبدك له .
- الشراب يكشف عن المتصنع ستر التصنع ، وكذلك القدرة ، فلا تستعمل البطش حيث ينجح القول .
- الشجاع يختار حسن الذكر على البقاء ، والجهان يختار البقاء على حسن الذكر .
- المصنفى إلى الذم شريك لقائله .
- الصلف وضع الرجل نفسه بمنزلة لا يستحقها ، ومطالبة نفسه والناس بما

(٦) السطوة : الشدة والبأس .

يجب لتلك المترلة ، والتواضع حط الرجل نفسه إلى مترلة دون مترلة نفسه لغير نقيصة .

- صير العقل والحق إمامك ، فإنك لاتزال حرّاً بها .
- الصور الحسنة بلا أدب مثل أواني الذهب فيها خلّ .
- اطلب في الحياة العلم والمال تحز الرئاسة على الناس ، لأنهم بين خاص وعام ، فالخاصة تفضلك بما تحسن ، والعامّة تفضلك بما تملك .
- الظفر شافع المذنبين إلى الكرماء .
- العفو يفسد من الخسيس بمقدار ما يصلح من الرفيع .
- اعتنوا بقوام البدن ، فإنه آلة النفس .
- العزيز النفس هو الذى لا يذل للفاقة .
- عاشر الناس معاشرة من الصلة أثر عنده من القطيعة ، والاحتمال أغلب عليه من التجنى ، واعلم أن ما يخرجهم إلى التعدى والأخلاق الذميمة أغراض وظنون فاسدة تغريهم ، فتوقهم^(٧) واغفر لهم .
- العدل في الشيء له صورة واحدة ، والجور صور كثيرة ، فلهذا سهل ارتكاب الجور ، وصعب العدل ، فهما يشبهان الإصابة والخطأ في الرماية ، فإن الإصابة تحتاج إلى الارتياض ، والخطأ لا يحتاج إلى ذلك^(٨) .
- الغضب والشهوة وكل خلق من أخلاق النفس له مقدار يصلح فيه حال الشخص الذى يكون فيه ، فإن زاد على ذلك أخرجه إلى الشر ، لأن الغضب

(٧) توقّ فعل أمر بمعنى اتق من الوقاية وهى الحفظ .

(٨) ولهذا يجب على المرء أن يروض نفسه حتى تلتزم جادة الحق والعدل والصواب ، وذلك بيدل الجهد في معرفة الحق والعدل والاهتداء إليه من بين الصور الكثيرة التى يتربا بها الباطل .

يشبه المملح الذى يطرح فى الأطعمة ، فإن كان بقدر موافق أصلح الطعام ، وإن كان زائدا أفسده ، وكذلك سائر القوى .

● الغضب كالتابع الردى الذى يحركك أولا فى مصلحتك ، فإن أطعته حركك فى مصلحته .

● الفضيلة تجمع أصحابها على المحبة ، والرذيلة تفرق بين أهلها بالتنافر والبغضة ، ألا ترى أن الصادق يحب الصادق ، ويستقيم إليه ، وكذلك الثقة مع الثقة ، والحسن الخلق مع الحسن الخلق . وترى الكاذب يبغض الكاذب ، والسارق يخاف السارق ، وكل واحد منها حذر من مجاورة صاحبه .

● الفجور من خواص الدواب الدنية ، وفشوه يهلك الأمة .

● الفرق بين الحق والعدل : أن الحق هو الذى يعطى كل ذى حق حقه من ذاته ، والعدل هو المعطى كل ذى حق حقه من الحق .

● الفرق بين المعرفة بالشئ والعلم به ، أن المعرفة تذكر ما قد نسيته ، والعلم به يثبت فى نفسك من أمره ما لم تتصوره قبل ذلك .

● الفرق بين الإبانة والبلاغة ، أن الإبانة لا تكون إلا لموجود ، والبلاغة تكون لموجود ومفروض .

● الفضل من مال الغنى حرام عليه ما وجد ظاهر الخلة ، شديد الفاقة ، مكدى الاكتساب^(٩) .

● قلما تغتفر المرأة إساءة المسمى إليها حتى ولو كانت صغيرة ، وأما إحسان المحسن لها فسريرا ماتساه ولا تعود تذكره .

● قيل لأفلاطون : كيف ينبغي للرجل أن يصنع لئلا يحتاج ؟ فقال : إن

(٩) ظاهر الخلة : واضح الحاجة والفقير ، مكدى الاكتساب : قليل الكسب .

- كان غنيا فليقتصد ، وإن كان فقيرا فليدمن العمل .
- كل خلق من الأخلاق قد يكسب عند قوم إلا الأمانة ، فإنها نافعة عند أصناف الناس ، يفضل بها من كانت فيه .
 - كما أن في الأبنية الكبيرة ما قد يحيب الصدى وليس هناك شخص ، كذلك في الناس من له صورة إنسان وليس بإنسان^(١٠) .
 - الكرم المحض من غلبت عطاياه من أجل الرقة للقاصدين له ولم يطلب بها المباهاة ولا المكافأة .
 - لا تطلب سرعة العمل واطلب تجويده ، فإن الناس لا يسألون عن مدة العمل وإنما يسألون عن جودته .
 - لا تصحب الشرير ، فإن طبعك يسرق منه ، وأنت لاتدرى !
 - ليكن دعاؤك أن يحرسك الله من أصدقائك ، لأنك لاتقدر أن تحرس منهم .
 - لا تحتقر من الخير قليلا ، فإن القليل من الخير كثير .
 - لا تفرح بسقطة غيرك ، فإنك لاتدرى كيف تتصرف الأيام بك .
 - لأن يموت الإنسان فيخلف مالا لعدوه خير من أن يحتاج في حياته إلى أصدقائه .
 - لولا أربع لصلح أمر الناس : جهل غالب ، وأمل كاذب ، وحرص دائب ، وهوى جاذب .
 - لكل ذى فضل عدو لم يكتسبه ، يسوءه حسن الذكر له ، وجميل

(١٠) وهذا بمعنى : ترى الفتيان كالنخل ، وما أدراك بالنخل . وهناك في الناس إمعات لالون لهم أشبه بتأثيل الطين المكسمة بالبياض من الظاهر ، فهو جميل المنظر ، فارغ المحتوى .

القول فيه ، ويرى أن ماشاع من ذلك تبكيت له .

● لا ترغب إلى من قصرت همته عن همتك ، وزاد حرصه على حرصك ، وكانت حيلته أوسع من حيلتك .

● لتكن عنايتكم في دنياكم بما يصلح معاشكم ، وفي دينكم بما يرضى خالقكم عنكم .

● محب الشرف هو الذى يتعب نفسه بالنظر في العلم .

● من فضيلة العلم أنك لا تستطيع أن يخدمك فيه أحد كما يخدمك في سائر الأشياء ، وإنما تخدمه بنفسك ، ولا يستطيع أحد أن يسلبك إياه كما يسلبك غيره من المقتنيات (١١) .

● قيل لأفلاطون : لم يبغض الجاهل العالم ، ولا يبغض العالم الجاهل ؟ فقال : لأن الجاهل يستشعر النقص في نفسه ، والعالم لانقص عنده .

● المرأة التى ينظر فيها الإنسان إلى أخلاقه هى الناس ؛ تبين محاسنك من أوليائك منهم ، ومساويك من أعدائك فيهم .

● محبتك للشئ ستر بينك وبين مساويه ، وبغضتك له ستر بينك وبين محاسنه (١٢) .

(١١) نعم هذه فضيلة العلم ، ولكننا كبشر نحب أن نورث أبنائنا ما أنفقنا العمر في تحصيله وفهمه ، والعالم لا يهرب ولا يورث ، كما يورث المال والثرث ورحم الله حنفى ناصف حيث يقول :

أنقضى ممي إن حان حيني تجارى	ومسانلتها إلا بطول عناه
وأبذل جهدى لا كساب معارف	وبفنى الذى حصلته بفنالى
ومحزنى ألا أرى لى حيلة	لإعطائها من يستحق عطائى
إذا ورث الجهال أبنائهم غنى	وجاهًا فما أشق بنى العلماء

=

(١٢) وفي هذا المعنى يقول الشاعر :

- ينبغي للعاقل أن يتذكر عند طلاوة الغذاء مرارة الداء .
- يتقّم الإنسان من عدوه بأن يتزَيّد فضلاً في نفسه .
- مت بالإرادة تحي بالطبيعة^(١٣) .
- عقول الناس مدوّنة في أطراف أعلامهم ، وظاهرة في حسن اختيارهم .

= وعين الرضا عن كل عيب كلية كما أن عين السخط تبيد المساويا
 (١٣) أراد بالموت الإرادي إمانة الشهوات وترك التعرض لها ، وأراد بالحياة الطبيعية بقاء النفس
 السرمدي بما تستفيده من العلوم وتبرأ به من الجهل .

أرسطو

أرسطو فيلسوف يوناني (٣٨٤ - ٣٢٢ ق . م) تتلمذ على أفلاطون ، وعلم الإسكندر الأكبر ، وأسس اللوقيون حيث كان يحاضر ماشيا ، فسمى هو وأتباعه بالمشائين .

وقد تناولت بحوثه جميع ألوان المعرفة الإنسانية ، وله كتب في الأخلاق والسياسة والشعر والخطابة ، وكان له أثر في الفلاسفة الإسلاميين ، ولقبوه بالمعلم الأول (والفارابي هو المعلم الثاني) .

وقام فلاسفة الإسلام بشرح فلسفة أرسطو ، وحفظوها من الضياع ، وعندهم أخذ العرب ، ومن ثم ساعدوا على نقل الفكر اليوناني إلى أوروبا .

وهو واضع علم المنطق ، ويعتمد مذهبه في الإلهيات على القول بإثبات واجب الوجود سبحانه وتعالى ، وأن نظام الكون الذي أبدعه متوجه في الكل نحو الخير ، وأن الشر واقع بالعرض لا بالذات ، فلولا الشر ما كان الخير ، فالمطر النازل من السماء خير ، ولكنه قد يهدم بيتا ضعيف البناء ، فهو شر جزئي محتمل من أجل خير كبير .

والنفس الإنسانية باقية بعد فناء البدن ، وتنال سعادتها في العالم العقلي إذا استكملت قوى العلم والعمل .

وغاية التربية عنده تعليم الفضيلة ، والفضيلة في رأيه وسط بين رذيلتين ،

كالشجاعة فهي وسط بين التهور والجبن ، ويعترض عليه بأن من الفضائل مالا
وسط له كالعدل ، وقد عمل أرسطو قائمة كبيرة بالردائل ، منها ردائل الإفراط
كالتهور والشهوانية ، والغرور ، والادعاء الكاذب ، والشراسة ، والمجاهبة . .
ورذائل التفريط مثل الجبن ، والبلادة ، والخسة ، وضعة النفس ، والضعف ،
والمثق . .

والفضائل الأوساط مثل الشجاعة والاعتدال ، والعزة ، والسرورة ،
والحلم ، والمجاملة .

ولا يرى أرسطو بأسا ، بل هو يجذب الأخذ من اللذة بحظ ، وأن ينعم الجسم
بالصحة ، ومن ثم فقد اعتبر أرسطو واقعيا ، لأنه وقف من الحظوظ المادية
موقفا وسطا متزنا ، فآثر الحظوظ المادية المشروعة على الزهد والحرمان .

ومن حكم أرسطو :

● فضل الناطق على الأخرس بالنطق ، وزين النطق الصدق ، فإذا كان
الناطق كاذبا فالأخرس خير فيه .

● الحكمة تعرف عند النطق ، والشجاعة عند الغضب ، والعفة عند
الشهوة .

● سئل أرسطو : أى شيء أصعب على الإنسان ؟ فقال : السكوت .

● سئل أرسطو : أى الحيوان أحسن ؟ فقال : الإنسان المزين بالأدب .

● سئل أرسطو : أى الرسل أخرى بالنجح ؟ فقال : من جمع له مع

العقل الجمال .

● سئل أرسطو : فى أى وقت ترى الباه^(١) ؟ قال : إذا اشتيت أن تضعف .

● رأى أرسطو إنسانا ناقها يكتر من الأكل والشرب ، وهو يرى أنه يقويه ، فقال له : يا هذا ، ليست زيادة القوة بكثرة ماتورد بدنك من الغذاء ، ولكن بكثرة مايقبل منه .

● سرعة الغضب من أخلاق السباع والصبيان .

● شاور بالليل ، فإن الفكر فيه أشد اجتماعا منه بالنهار .

● الصدق قوام أمر الخلق ، والكذب داء لاينجو من نزل به .

● الطمع يورث الذلة التى لا تنقضى .

● ظاهر العتاب خير من مكتوم الحقد .

● اعتبر بمن مضى قبلك ، ولا تكن عبرة لمن يأتى بعدك .

● قد يفسد العضو لصالح أعضاء ، كالكى والفصد اللذين يفسدان

الأعضاء لصالح غيرها .

● عجيب ممن استقر قلبه فى الدنيا ، وهى دائمة التصرم^(٢) .

● الفضل بين الأديب وغير الأديب كالفضل الذى بين الميت والحي .

● قوت الأجساد المطعم ، وقوت العقول الحكمة .

● قيل لأرسطو : لم تناقض صديقك أفلاطون ؟ فقال : أفلاطون

صديق ، والحق أولى بالصدقة منه .

(١) الباه : ما يخرج عند الوقاع .

(٢) التصرم : التقطع أى أنها تقطع غيرها .

- القليل مع قلة الهمّ أهناً من الكثير ذى التبعة^(٣) .
- قيل لأرسطو : أخبرني عنك ثقة بما يوحش ؟ فقال : الثقة لانيتم .
- كثرة الجماع تنهك العمر ، وتنقص البدن .
- كن حلوا مرا ، قريبا بعيدا ، ولاتلن كل اللين فيقطع فيك ، ولا تشد كل الشدة فينفر عنك .
- لاتغتبطن بسلطان غير عادل ، ولا بغنى من غير حل ، ولا ببلاغة من غير صدق منطلق ، ولا بجمود في غير إصابة موضع ، ولا بحسن عمل في غير خشية .
- لو أن لساناً صادقاً أمر جبلا أن يزول لزال من مكان إلى مكان^(٤) .
- الأشكال لاحقة بأشكالها ، كما أن الأضداد مبادئة لأضدادها^(٥) .
- لافقر أفقر من الجهل ، ولا وحشة أوحش من العُجب ، ولا صاحب أكيس من الشورى .
- ليس طلبى للعلم طلبا في بلوغ ناصيته ، والاستيلاء على غايته ، بل لالتماس ما لا يسع جهله^(٦) .
- لن يسود من يتبع العيوب الباطنة من إخوانه .
- المعلم الرفيق يرى المتعلم بصغار العلم قبل كباره ، كما ترى الوالدة ولدها بالرضاع قبل القطام^(٧) .

(٣) هذه الحكمة لارضى أصحاب الطموح المادى الذين يقيسون النجاح في الحياة بمقياس المادة فقط ، وما أكثرهم في زماننا هذا الذى اختلت فيه القيم ، واضطربت المعايير .

(٤) في الإنجيل : لو كان لكم إيمان مثل حبة خردل لكنتم تقولون للجبل انتقل فبثقل .

(٥) يقول المتن : وشبه الشيء منجذب إليه وأشبهنا بدينانا الطعام .

(٦) وذلك لأن العلم بحر لا ساحل له .

(٧) وهو مبدأ من مبادئ التربية الحديثة ، يعبر عنه بالانتقال من السهل إلى الصعب ، ومن البسيط إلى المركب ، ومن المحسوسات إلى المعنويات .

- من كفر النعمة استوجب السلب وحرم المزيد .
- من جعل الأجل أمامه أصلح نفسه .
- من تجبر على الناس أحب الناس زلته .
- من أفرط في اللوم كره الناس حياته .
- امتحنوا الناس في وقت تمكنهم وتسلطهم دون وقت ذلهم ، لأنه كما أن الكبر يمتحن به الذهب ، كذلك التمكن يمتحن به الناس ، في ذلك الوقت يظهر من الخير خيره ، ومن الشر شره .
- يظهر من صلاح الصالح وإن جهد في كتمانته ، مثل مايسطع من ربح المسك وإن كان مكثوما .
- قال أرسطو للإسكندر : تفقد أمر عدوك قبل أن يطول باعه ، وارتق الفتى قبل أن يتجاوز اتساعه .
- الظلم من طبع النفوس ، وإنما يصدها عن ذلك إحدى علتين ؛ إما علة دينية خوف معاد ، وإما علة سياسية خوف سيف^(٨) .
- الحسد حسدان : محمود ومذموم ، فالحمود أن ترى عالما فتشهى أن تكون مثله ، وزاهدا فتشهى مثل فعله ، والمذموم أن ترى عالما وفاضلا فتشهى أن يموتا .
- الأحق لا يحس بألم الحق المستقر في قلبه ، كما لا يحس السكران ألم الشوكة التي تدخل في يده ورجله .
- الإنسان بلا عقل كالتمثال بلا روح .

(٨) نقله المتبى شعرا فقال :

والظلم من شيم النفوس فإن نجد ذاعفة فلملحة لا يظلم

- الملك الذى ينظر إلى الأقوياء ، ويهمل أمر الضعفاء ، مثله كمثل صاحب البستان الذى يصرف الماء إلى الشجر الرواء ويحرمه الشجر العطاش .
- الحق واضح فى نفسه ، وإنما يخفى علينا لآفة فى عقولنا ، فإن الشمس نيرة ، ولا يبصرها الخفافش لآفة فى بصره^(٩) .
- الحكيم الصالح لا يخادع أحدا ، والعاقل الكامل لا يجده أحد .
- بذل الوجه للناس هو الموت الأكبر .
- الأدب يكسب الأغنياء زينة ، والفقراء معاشا يعيشون به عيش الأحرار^(١٠) .

- قال أرسطو للإسكندر : أجر الرزق على ولد الشهيد ، ومن جرح بوجهه فكافئه بجائزة ، ومن جرح فى ظهره فونحه بالكلام فقط ، ومن بطلت له فى الحرب جارحة فقد وجب عليك رزقه ببقية عمره .
- كتب أرسطو للإسكندر : أذم إليك الدنيا ، الآخذة مانعطي ، السالبة ماتكسو ، تسد بالأراذل مكان الأفاضل ، وبالعجزة مكان الخدمة^(١١) ، تجد فى كل من كل خلفا ، وترضى بكل من كل بدلا . من سفته من عذب حلاوتها كأسا ، جرعته من غب مرارتها انتكاسا .

(٩) ومنه أخذ المتنبي قوله :

- قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد وينكر الفم طعم الماء من سقم
- (١٠) لعمري إن أدب الكتابة لا يأتي بأبيض ولا أصفر ، يقول جحظة :
- كلما قلت قال أحسنت شكرا وبأحسنت لا يباع الدقيق !
- (١١) الخدمة : القادرين على العمل ، وهى يفتح الخاء والذال .

ديوجين

قال عنه الشهرستاني : كان حكيما فاضلا متقشفا ، لا يقتنى شيئا ، ولا يأوى إلى منزل ، وكأنه من قدورية الفلاسفة ، لما يوجد في مدارج كلامه من الميل إلى القدر .

وقالت عنه الموسوعة العربية : ديوجنيس (٤١٢ - ٣٢٣ ق . م) فيلسوف يوناني من الكليين ، عاش في أثينا داعيا إلى البساطة ، فعاش في برميل . وعندما سأله الإسكندر : ماذا يتمنى ؟ أجابه أنه يتمنى أن يبعد عنه حتى لا يججب ضوء الشمس !

ويروى عنه أنه كان يحوب الطرقات نهارا حاملا مصباحا ، وحين يسأل عن ذلك ، يجيب بأنه يبحث عن إنسان ، والمغزى واضح ، فهو يريد أنه يبحث عن إنسان كامل تتحقق فيه فضائل الإنسانية الصحيحة .

ومن حكمه :

● سأله الإسكندر يوما : بأي شيء يكتسب الثواب ؟ قال : بأفعال الخيرات ، وإنك لتقدر أيها الملك أن تكتسب في يوم واحد مالا تقدر الرعية أن تكسبه في دهرها .

● سأله عصبه من أهل الجهل : ماغذاؤك ؟ فقال : ماغفتم (يعني الحكمة)

● قالوا له : فما عفت ؟ قال : ما استطيت . (يعنى الجهل)

● قالوا له : كم عبدا لك ؟ قال : أربابكم (يعنى الغضب والشهوة والأخلاق الرديئة الناشئة منها)

● قالوا له يوما : ما أقبح صورتك ! قال : لم أملك الخلقة الذميمة فألام عليها ، ولا ملكتم الخلقة الحسنة فتحمدوا عليها ، وأما ما صار فى ملكى ، وأنى عليه تدبيرى ، فقد استكملت تربيته وتحسينه بغاية الطوق ، وقاصية الجهد ، واستكملتهم شين ما فى ملككم ^(١) .

● قالوا : فما الذى فى الملك من التريين والتهجين ؟ قال : أما التريين ، فعلمارة الذهن بالحكمة ، وجلاء العقل بالأدب ، وقمع الشهوة بالعفاف ، وردع الغضب بالحلم ، وتذليل المرح بالسكون ، ورياضة النفس حتى تكون مطية ، قدارتناضت فتصرفت ، حيث صرفها فارسها فى طلب العليات ، وهجر الدنيات .

ومن التهجين : تعطيل الذهن من الحكمة ، وتوسيع العقل بضياغ الأدب ، وإثارة الشهوة باتباع الهوى ، وإضرار الغضب بالانتقام ، وإمداد الحرص بالطلب .

● قدّم إليه رجل طعاما وقال له : استكثر منه ، فقال : عليك بتقديم الأكل ، وعلينا باستعمال العدل .

● زمام العافية بيد البلاء ، ورأس السلامة تحت جناح العطب ، وباب الأمن مستور بالخوف ، فلا تكوننّ فى حال من هذه الثلاث غير متوقع لضدّها .

(١) فى هذا المعنى يقول المتنبى :

وما الحسن فى وجه الضئى شرفا له إذا لم يكن فى ضله والخلاتق

● قيل له : مالك لاتغضب ؟ قال : أما غضب الإنسانية فقد أغضبه ،
وأما غضب البهيمية فقد تركه لترك الشهوة البهيمية .

● استدعاه الملك الإسكندر يوما إلى مجلسه ، فقال للرسول : قل له : إن
الذى منعك عن المصير إلينا هو الذى منعنا عن المصير إليك ، منعك استغناؤك
عنى بسلطانك ، ومنعنى استغنائى عنك بقناعتى^(٢) .

● عابته امرأة يونانية بقبح الوجه ودمامة الصورة ، فقال : منظر الرجال
بعد المخير ، ومخبر النساء بعد المظهر . (فخجلت وتابت)

● وقف عليه الإسكندر يوما فقال له : أما تخافنى ؟ قال : أنت خير أم
شرير ؟ قال : بل خير ، قال : فما لخوفى من الخير معنى ، بل يجب على
رجاؤه .

● كان لأهل مدينة من بلاد ، صاحب جيش جبان ، وطبيب لم يعالج
أحدا إلا قتله ، فظهر عليهم عدو ، ففرعوا إليه فقال : اجعلوا طبييكم صاحب
لقاء العدو ، واجعلوا صاحب جيشكم طبييكم !

● اعلم أنك ميت لا محالة ، فاجتهد أن تكون حيا بعد موتك ، لئلا تكون
لمبتك ميتة ثانية .

● كما أن الأجسام تعظم فى العين فى اليوم الضباب ، كذلك تعظم الذنوب
عند الإنسان فى حال الغضب .

● سئل عن العشق فقال : هو اختيار صادف نفسا فارغة .

(٢) ورحم الله أبا العنابية حيث يقول :

يا من ترفع للنديا وزينتها	ليس الترفع رفع الطين للطين
إذا أردت شريف الناس كلهم	فانظر إلى ملك فى زى مسكين

● رأى غلاما معه سراج ، فقال له : تعلم من أين تجيء هذه النار ؟ فقال له الغلام : إن أخبرتكى إلى أين تذهب ، أخبرك من أين تجيء (٣) .

● رأى امرأة قد حملها الماء فقال : على هذا جرى المثل : دع الشريفسله الشر (٤) .

● رأى امرأة تحمل نارا فقال : نار على نار ، وحامل شر من محمول .

● رأى امرأة متزينة فى ملعب فقال : لم تخرج لترى بل لترى !

● رأى نساء يتشاورن فقال : على هذا جرى المثل : هو ذا الثعبان

يستقرض من الأفاعى سُمًا .

● رأى جارية تتعلم الكتابة فقال : يُسقى هذا السهم سُمًا ليرمى به يوما ما .

● رأى امرأة ضاحكة فقال : لو كنت تدرين الموت لما كنت ضاحكة

أبدا .

● رأى امرأة قد حملها السيل فقال : زادت على كدره كدرا ، والشر

بالشر يهلك .

● قال للإسكندر يوما ، وكان يقربه ويدنيه ويأنس بكلامه : أيها الملك ،

قد أمنت الفقر ، فليكن غناك اقتناء للحمد ، وابتغاء للمجد .

● رأى ديوجين صبيا كثير الشبه بآبيه ، فقال : نعم الشاهد أنت لأملك !

● سئل ديوجين عن الغنى فقال : الكف عن الشهوات .

● سئل ديوجين من ماذا يتحفظ الإنسان ؟ فقال : من حسد أصدقائه .

● سئل ديوجين بماذا يعرف الصديق ؟ قال : عند الشدائد .

(٣) قالوا : فأعياء الغلام وأضحه بعد أن لم يكن يقوى عليه أحد .

(٤) هذا وما بعده رأى قاس فى المرأة ، وقد علنا لذلك فى حكم سقراط .

● قيل لديوجين : ما الحلو؟ وما المر؟ قال : الحلو ، الولد الأديب ، والمر الذئب الثقيل .

● كل شيء يستحب فضله ماعدا فضل الكلام ، فتوقوه ، فإنه غير مستحب .

● كما تعرف بصوت الفخار إذا نقر صحيحه من مكسوره ، كذلك تعرف بكلام الإنسان نقصه من تمامه .

● من جمع لكم مع المحبة رأيا ، فاجمعوا له مع المحبة طاعة .

● المرأة رديّة ، لاسيا إذا سميت بالمرأة مرتين ؛ امرأة وامرأة أب .

● نظر ديوجين إلى غلام حسن الصوت يتعلم الحكمة ، فقال : يا غلام ، قد أحسنت إذ نقلت زينة إلى نفسك .

● نظر ديوجين إلى رجل حسن الوجه ، ردىء السيرة ، فقال : البيت حسن ، وأما الساكن فشيطان ^(٥) .

● نظر ديوجين إلى شاب طويل السكوت ، فقال له : إن كان صمتك لسوء أدبك فأنت أديب ، وإن كان لأدبك فقد أسأت أدبك إذ أمسكت .

(٥) الجبال جبال النفس والروح ، أما الجسم فهو رداء يخلعه الإنسان بالموت ، والله در الشاعر حيث يقول :

فينا	وفيك	طبيعة	أرضية	تهوى	بنا	أبدا	لشرّ	قرار
النفس	خيرك	إنها	علوية	والجسم	شرك	ليس	فيه	تأري

ثاوفر اسطوس

ثاوفر اسطوس فيلسوف يوناني (٣٧٢ - ٢٨٧ ق . م) كان تلميذا لأرسطو ، وخلف أستاذه في تزعم المشائين ، وازدهرت المدرسة المشائية على يديه ، وكان صديقا لفيليب الثاني المقدوني ، ولبطلميوس الأول ، وكتب في موضوعات كثيرة ، أخصها النبات ، وله كتاب « شخصيات » رسم فيه عدة شخصيات من أنماط مختلفة صور بها معاصريه .

قال عنه الشهرستاني : كان من كبار تلامذة أرسطو وكبار صحابه ، واستخلفه على كرسي حكمته بعد وفاته ، وكانت المتفلسفة في عهده تختلف إليه ، وتقتبس منه ، وله كتب الشروح الكثيرة ، والتصانيف المعبرة ، وخاصة في الموسيقىات .

ومن حكمه :

- الغناء فضيلة في المنطق أشكلت على النفس ، وقصرت عن تبين كنهها ، فأبرزتها لحونا ، وأثارت بها شجوننا ، وأضمرت في عرضها فنونا وفتونا .
- الغناء شيء يخص النفس دون الجسد فيشغلها عن مصالحها ، كما أن لذّة المأكول والمشروب شيء يخصّ الجسم دون النفس .
- إن النفوس إلى اللحن إذا كانت محجة ، أشدّ إصغاء منها إلى ماقد تبين

لها ، وظهر معناه عندها ^(١) .

● ينبغي للرجل أن يدارى الزمن مداراة رجل لايسبح فى الماء الجارى إذا وقع .

● لايقبطنَ بسلطان من غير عدل ، ولابغى من غير حسن تدبير ، ولا ببلاغة من غير صدق منطق ، ولايجود فى غير إصابة موضع ، ولا بأدب من غير أصالة رأى ، ولابحسن عمل فى غير حينه .

● العقل نحوان : أحدهما مطبوع ، والآخر مسموع ، فالمطبوع منه كالأرض ، والمسموع منه كالبذر والماء ، فلا يخلص للعقل المطبوع عمل دون أن يرد عليه العقل المسموع ، فبينه من نومه ، وبطلقه من وثاقه ، ويقلقه من مكانه ، كما يستخرج البذر والماء مافى قعر الأرض ^(٢) .

● الحكمة غنى النفس ، والمال غنى البدن ، وطلب غنى النفس أولى ، لأنها إذا غنيت بقيت ، والبدن إذا غنى فنى ، وغنى النفس ممدود ، وغنى البدن محدود ^(٣) .

(١) قالت الحكماء : فى القلب فضيلة شريفة لم تقدر قوة الطق على إخراجها باللفظ ، فأخرجتها النفس بالألحان ، فلما ظهرت سرت وطربت لها ، والموسيقى والغناء أصوات جميلة موزونة موقعة على نغمات ، والصوت إما أن يكون من طير مفرد بفطرته وطبيعته كأصوات الكروان والعنادل والقمارى والساجعات من الطيور ، وإما أن يخرج الصوت من آلات مصنوعة هى الآلات الموسيقية المختلفة ، وإما أن يخرج من حنجرة إنسان ، وهو المغنى للطرب ، وهو لمو مباح لتغذية الأرواح ، مالم يعن على إثم أو ترك واجب ، والموسيقى والغناء من ألوان الفنون الجميلة التى تنطوى تحتها أسرار الخالق فيما خلق ، وكرم لله من أسرار فيما حوت الفنون من أنواع الفنون .

(٢) يريد أن للإنسان عقلا غريزيا هو نصيبه من الذكاء والفهم والفطنة ، وعقلا مكسبا يستفيده من التجارب والتعلم والخبرات التى يمر بها ، والعقل المستفاد المكسب يوقظ العقل المطبوع ويشده ، كما يشد البذر والماء الأرض قنبت .

(٣) وذلك لأن النفس باقية وخالدة ، أما الجسد فهو فان وهالك .

إقليدس

عالم رياضة يوناني نشأ في الإسكندرية ، ربما في عهد بطليموس الأول ٣٢٣ - ٢٨٥ ق . م أنشأ مدرسة مشهورة بالإسكندرية ، وقام بتنظيم وتنسيق علم الرياضة في عصره ، وضمنه مؤلفه الأصول المحتوى على ثلاث عشرة مقالة ، ظلت حتى عهدنا هذا أساس مبادئ الهندسة . (الموسوعة العربية) . وقد ترجم عنه العرب كتباً رياضية غاية في النفع ، نقل كتابه في الرياضة حنين بن إسحق ، فجاء العلامة ثابت بن قرة حوالى سنة ٢١١ هـ فتقحه وهذبه وسهل مصاعبه . (دائرة معارف فريد وجدى) .

قال الشهرستاني : إقليدس هو أول من تكلم في الرياضيات ، وأفرده علماً نافعا في العلوم ، منقحا للخواطر ، ملقحا للفكر .

ومن حكم إقليدس :

● الخطأ هندسة روحانية ظهرت بآلة جسمية^(١) .

● قال له رجل يتهدده : إني لا آلو جهداً أن أفقدك حياتك ، فقال له

(١) ليس بغريب أن يعتبر إقليدس الهندسة والرياضة من الروحانيات ، فعلم الرياضة إذا تعمق فيه المتعمق أدى به إلى عالم ماوراء الطبيعة ، وهذا فيثاغورس الفيلسوف اليوناني يعتبر العدد أصل الموجودات ، ويتصور العالم تصوراً رياضياً ، ولهذا مال الفيثاغوريون إلى التصوف وحياة الطهارة ، وقالوا بخلود النفس ، وبوجود عالم آخر ، ولعل فيثاغورس اكتسب هذه الآراء من الشرق ، فالشرق كان منذ قديم الزمان صاحب التفحات الروحية .

إقليدس : أنا لا آلو جهدًا أن أفقدك غضبك ؟

- كل أمر تصرفنا فيه ، وكانت النفس الناطقة هي المقدرة له فهو داخل في الأفعال الإنسانية ، ومالم تقدره النفس الناطقة فهو داخل في الأفعال البهيمية .
- من أراد أن يكون محبوبه محبوبك ، وافقك على ماتحب ، فإذا اتفقنا على محبوب واحد صرنا إلى الاتفاق .

- افزع إلى ما يشبه الرأي العام التدبيرى العلى ، واتهم ماسواه .
- كل ما أستطيع خلعه ، ولم يضطر إلى لزومه المراء ، فلم الإقامة على مكروهه ؟

- الأمور جنسان : أحدهما يستطيع خلعه والمصير إلى غيره ، والآخر توجه الضرورة فلا يستطيع الانتقال عنه ، والاعتماد والأسف على كل واحد منهما غير سائق فى الرأى .

- كل فائت وجدت فى الأمور منه عوضا ، أو أمكنتك اكتساب مثله ، فما الأسف على فوته ؟ وإن لم يكن منه عوض ، ولا يصاب له مثل ، فما الأسف على ما لا سبيل إلى مثله ، ولا إمكان فى دفعه (٢) .

- لما علم العاقل أنه لا ثقة بشيء من أمر الدنيا ألقى منها مامنه بدًا ، واقتصر على ما لا بد منه ، وعمل فيما يوثق به بأبلغ ما قدر عليه .
- أسوأ الناس حالا من لا يثق بأحد لسوء ظنه ، ولا يثق به أحد لسوء فعله .

(٢) وهذه الحكمة تفسر الحكمتين السابقتين عليهما ، ومضمونها جميعا ترك الأسف على ما فات (لكى لا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم) .

● الجشعُ بين شرَّين : فالإعدام يخرجُه إلى السفه ، والجلدة تخرجه إلى الأشر (٣) .

● لاتعن أخاك على أخيك في خصومة ، فإنها يصطلحان عن قليل وتكتسب المذمة (٤) .

(٣) الأشر البطر وكفر النعمة .

(٤) اختار الحكيم الوقوف في جانب السلب والحياد ، أما الجانب الإيجابي فهو متاصرة من معه الحق .

الإسكندر

الإسكندر الأكبر ملك مقدونيا وابن فيليب الثاني ، عاش فيما بين ٣٥٦ - ٣٢٣ ق . م وتعلم على الفيلسوف اليوناني أرسطوطاليس ، فتح الفتوح ، وأخضع الممالك ، ومن بينها مصر ، التي كانت تحت الحكم الفارسي ، وقد رُسم الإسكندر فرعوناً في « منف » وأسس مدينة الإسكندرية ، وأحرز فتوحات لم يحرزها قائد قبله ، ومات بالحمى وسنه لم تتجاوز ثلاثة وثلاثين عاماً ، ووضع في تابوت من ذهب ، ودفن بالإسكندرية ، ويعتبر من أعظم القواد وأبرز الشخصيات في التاريخ .

ذكره الشهرستاني بين أصحاب الحكم ، وعده من أصحاب أرسطو الفيلسوف .

ومن حكم الإسكندر :

- قيل له : إنك تعظم مؤدبك أكثر من تعظيمك والدك ! قال : لأن أبي سبب حياتي الفانية ، ومؤدبي هو سبب حياتي الباقية^(١) .
- جلس الإسكندر يوماً فلم يسأله أحد حاجة ، فقال لأصحابه : والله

(١) ذكر الشهرستاني أن أبا زكريا الصيمري علّق على هذه الحكمة فقال : لو قيل لي هذا لقلت : لأن أبي كان قد قضى وطراً بالطبيعة التي اختلفت بالكون والفساد ، ومؤدبي أفادني العقل الذي به انطلقت إلى ما ليس فيه كون ولافساد .

ما أعدّ هذا اليوم من أيام عمرى فى ملكى ، قيل : ولم أياها الملك ؟ قال : لأن الملك لا يوجد التلذذ به إلا بالجود على السائل ، وإغاثة الملهوف ، ومكافأة المحسن ، وإلا بآثالة الراغب ، وإسعاف الطالب (٢) .

● أغلظ له رجل من أهل أثينا ، فقام إليه بعض قواده ليقابله بالواجب ، فقال له الإسكندر . لا تنحط إلى دناءته ، ولكن ارفعه إلى شرفك .

● من كنت تحب الحياة لأجله . فلا تستعظم الموت بسببه .

● قيل له : إن « روشنك » امرأتك بنت دارا الملك (وهى من أجمل النساء) فلو قربتها إلى نفسك ! قال : أكره أن يقال : غلب الإسكندر دارا ، وغلبت روشنك الإسكندر !

● من الواجب على أهل الحكمة أن يسرعوا إلى قبول اعتذار المذنبين ، وأن يبطئوا عن العقوبة .

● سلطان العقل على باطن العاقل ، أشدّ تحكما من سلطان السيف على ظاهر الأحمق .

● ليس الموت بألم للنفس ، بل للجسد .

● الذى يريد أن ينظر إلى أفعال الله عز وجل مجردة ، فليعفّ عن الشهوات .

● العقل لا يألم فى طلب معرفة الأشياء ، بل الجسد يألم ويسأم (٣) .

(٢) وتذكرنى هذه الحكمة بحكمة جليّة للخليل بن أحمد البصرى عالم اللغة وواضع علم العروض ، حيث يقول « إذا رأيت من هو أعلم منى فذاك يوم استفادنى ، وإذا رأيت من هو دونى فذاك يوم إفادنى ، وإذا رأيت من هو مثلى فذاك يوم مذاكرتى ، وإذا لم أر أحدا من هؤلاء فذاك يوم مصيبتى ! ! » ورحم الله قوما كل أيامهم مصائب لأنهم لا يستفيدون ولا يفيدون ! ! نسأل الله لنا ولهم العافية .

(٣) وقد عبر المتنبي عن هذا المعنى فقال :

وإذا كانت النفوس كبارا تعبت فى مرادها الأجسام

● النظر في المرآة يُرى رسم الوجه ، وفي أقاويل الحكماء يُرى رسم النفس .
● السعيد من لا يعرفنا ولا نعرفه ، لأننا إذا عرفناه أطلنا يومه ، وأطرننا
نومه^(٤) .

● الظفر بالحزم ، والحزم بإجالة الرأي ، وإجالة الرأي بتحصيل الأسرار .
● استقلال كثير مانعطي ، واستكثر قليل ما تأخذ ، فإن قرّة عين الكريم فيما
يعطى ، ومسرّة اللئيم فيما يأخذ ، ولا تجعل الشحيح أميناً ، ولا الكذاب صفيّاً ،
فإنه لاعقبة مع شح ، ولا أمانة مع كذب .

● قيل للإسكندر : يَمَ نلت هذا الملك العظيم على حداثة السن ؟ قال :
بإستئالة الأعداء ، وتفقد الأصدقاء .

● لام الإسكندر بعضُ الناس على مباشرته الحرب بنفسه فقال :

مامن الحق أن تقاقل عني أصحابي ، ولا أقاقل أنا عن نفسي .

● ينبغي للرجل أن يستحي من إتيان القبيح ، أما في منزله فمن أهله ، وأما
في غير منزله فمن يلقاه ، وأما حيث يأمن من يلقاه فمن نفسه ، فإن لم يجعل
نفسه أهلاً لأن يستحي منها في خلوته ، فليستح من الله تعالى .

● قيل للإسكندر : أى شيء أنت به أسرُّ مما ملكت ؟ فقال : مكافأة من
أحسن إليّ بأكثر من إحسانه ، وعفوى عمن أساء بعد قدرتي عليه^(٥) .

(٤) ولهذا كان أهل الصلاح والتقوى يفرون من تولي الوظائف العامة كالقضاء مثلاً خوفاً التعرض
للضغط في إجراء الحق والعدل .

(٥) العفو عند المقدرة ، والعرفان بالجميل ، يدلان على أريحية النفس ، وسجاجة الخلق .

عبرة الحياة والموت

قبل لما مات الإسكندر اجتمع الحكماء لتأيينه ، وقال كل واحد كلمة في هذه المناسبة ، وهاك بعض هذه الحكم :

● بليموس : هذا يوم عظيم العبرة ، أقبل من شره ما كان مدبرا ، وأدبر من خيره ما كان مقبلا ، فمن كان باكيا على من قد زال ملكه فليبيكه .
● ميلاطوس : خرجنا إلى الدنيا جاهلين ، وأقنا عليها غافلين ، وفارقناها كارهين .

● زينون الأصغر : يا عظيم الشأن ! ما كنت إلا ظل سحاب اضمحل لما أظّل ، فما نحس للملك أثرا ، ولا نعرف له خيرا .

● أفلاطن الثانى : أيها السامى المغتصب ! جمعت ماخذلك ، وتوليت ماتولى عنك ، فلزمتك أوزاره ، وعاد على غيرك مهتوك وثمره .
● فوطس : ألا تتعجبون ممن لم يعظنا اختيارا ، حتى وعظنا بنفسه اضطرارا .

● مسطورس : قد كنا بالأمس نقدر على الاستماع ولا نقدر على القول ، واليوم نقدر على القول ، فهل نقدر على الاستماع ؟
● ثاون : انظروا إلى حلم النائم ، كيف انقضى ؟ وإلى ظل الغمام ، كيف انجلي ؟

- سوس : كم قد ألمات هذا الشخص لثلاث يموت ، فمات . فكيف لم يدفع الموت عن نفسه بالموت ؟
- وقال حكيم : طوى الأرض العريضة ، فلم يقنع منها حتى طوى في ذراعين ؟ !
- وقال آخر : ماسافر الإسكندر سفرًا من غير أعوان ولاعدة غير سفره هذا ! !
- وقال آخر : ما أرغبنا فيما فارقت ، وأغفلنا عما عانيت .
- وقال آخر : لم يؤدبنا بكلامه ، كما أدبنا بسكوته ! !
- وقال آخر : من ير هذا الشخص فليقت ، وليعلم أن الديون هكذا قضاؤها .
- وقال آخر : قد كان يسأل عما قبله ، ولايسأل عما بعده .
- وقال آخر : من شدة حرصه على الارتفاع ، انحطَّ كله .
- وقال آخر : الآن تضطرب الأقاليم ، لأن مسكنها قد سكن !
- وقال آخر : الآن وقت الانصراف ، لأن الأشخاص يتوجهون من دار إلى دار ، والله تعالى يبقى ولايفنى ^(١) .

(١) ونشيع موتانا ، ويتعظ منا من يتعظ لحظات ، ثم نحرقنا الحياة بأباطيلها وترهاتها « وكان الذى نشيع من الأموات سفرًا قليل إلينا راجعون ، نبوهم أجسادهم وتأكل من ترانهم كأننا مخلدون بعدهم ، كما يقول الرسول عليه الصلاة والسلام .

بطليموس

عالم فلك ورياضة وجغرافيا وفيزيقا ومؤرخ يوناني مصري ، نشأ بالإسكندرية في الربع الثاني من القرن الثاني ، وتوفي بعد سنة ١٦١ م ، اكتشف عدم انتظام حركة القمر ، وله أرصاد هامة عن حركات الكواكب ، وله مكانة في تاريخ العلوم ناقدا ومفسرا .

قام بتبويب وتسجيل نتائج وقوانين علماء الإسكندرية ، واعتبرت أعماله في الفلك والجغرافيا مرجعا أساسيا حتى أيام كوبرنيكوس ، فكتابه المسمى بالجسطى يبحث في الفلك والرياضة ، ويحتوى على مسائل وتفسيرات للأجرام السماوية وعلاقتها بالأرض .

أما نظام بطليموس فهو صورة الكون كما تخيلها القدماء ، حيث الأرض في المركز وتدور حولها باقي الأجرام السماوية في دوائر وبسرعة منتظمة . . (عن الموسوعة العربية)

قال عنه الشهرستاني : هو صاحب الجسطى الذى تكلم في هيئات الفلك وأخرج علم الهندسة من القوة إلى الفعل .

وأورد له هذه الحكم :

● سمع جماعة من أصحابه وهم حول سرادقه يقعون فيه ويثلبونه ، فهزّرحا

كان بين يديه ، ليعلموا أنهم بمسمع منه ، وأن يتباعدوا عنه قيد رمح ، ثم يقولوا ما أحبوا .

● ما أحسن الإنسان أن يصبر عما يشتهى ، وأحسن منه ألا يشتهى إلا ما ينبغي .

● الحليم الذى إذا صدق صبر ، لا الذى إذا قُذِفَ كظم .

● لأن يستغنى الإنسان عن الملك ، أكرم له أن يستغنى به .

● موقع الحكمة من قلوب الجهال كموقع الذهب والجوهر من ظهر الحمار .

● العلم فى موطنه كالذهب فى معدنه ، لا يستنبط إلا بالدؤوب والتعب

والكدّ والنصب ، ثم يجب تخليصه بالفكر ، كما يخلص الذهب بالنار .

● نحن كائنون فى الزمن الذى يأتى بعد ^(١)

(١) الكينونة الحقيقية هى البعث والمعاد ، قال تعالى (وإن الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون) .

المسيح عليه السلام

المسيح عيسى بن مريم رسول الله ، أرسله إلى بني إسرائيل ، ليصلح فساد نفوسهم ، ويقوم اعوجاجهم ، فقد غيروا شريعة الله ، وحرفوا كلماته ، وانصرفوا عن اللب والجوهر ، واهتموا بالشكليات والمظاهر . وقد أيدته الله بالمعجزات الباهرة ، والآيات القاهرة ، مثل إحياء الموتى بإذن الله ، وإبراء الأكمه وهو من ولد أعمى ، وشفاء الأبرص ، وأنزل عليه الإنجيل فيه هدى ونور ، فاختلفوا في شأنه وقالوا فيه مقولات لاتستند إلى معقول أو منقول .
والحق ما قال الله تعالى :

(إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون) . (وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم)

والإنجيل كلمة من أصل يوناني ومعناها البشرى ، والإنجيل الذى نزل على المسيح عليه السلام ، لا يتضمن أحكاما ، ولا يبين حلالا ولا حراما ، ولكنه رموز وأمثال ، ومواعظ ومزاجر ، كما يقول الشهرستانى فى الملل والنحل ، إذ أن رسالة المسيح عليه السلام كانت تصحيحا لتحريفات اليهود التى أدخلوها على التوراة .

أما الأناجيل الأربعة التى اعتمدها المسيحيون من بين أناجيل كثيرة غيرها ، فقد ألقت بعد المسيح بنحو سبعة عقود ، وقد روت هذه الأناجيل سيرة المسيح ، مع اختلاف غير قليل فيما بين بعضها وبعض ، ويتميز الإنجيل الرابع

منها ، وهو إنجيل يوحنا بطابعه اللاهوتى .

وبهنا هنا أن تؤكد على نقطة فى غاية الأهمية ، وهى أن تعاليم المسيح عليه السلام ، هى جوهر الديانة المسيحية ، وتقع من المسيحية فى الصميم منها ، ولو أولاها المسيحيون عنايتهم لكانوا جنبوا أنفسهم كثيرا من الأعاصير التى عصفت بهم ، يقول الدكتور القس إبراهيم سعيد فى كتابه « أصحاب السعادة » .
« لسا نجد فى الموعظة على الجبل ^(١) عقائد لاهوتية ، كعقيدة التثليث أو التبنى أو التبرير أو التجديد ، لكننا نجد مبادئ روحية سماوية سامية ، هى روحنا وحياتنا فى حياتنا العملية .

ولاشك عندى أننا فى هذه الأيام ، وفى غير هذه الأيام ، أحوج مانكون إلى مبادئ الحياة الروحية العملية منا إلى العقائد اللاهوتية والنظم الكنسية ولست أحسبى مبالغا إذا قلت : إن شر الأيام التى مرت بالمسيحية هى تلك الأيام التى انصرفت فيها عن تقوم الحياة الروحية العملية إلى تقديم العقائد اللاهوتية .

إن للعقيدة العقلية مقامها ومكانها ، ولكن لحياة القلب والروح مكانة أهم ، ومركزا أفضل ، ومقاما أسمى .
ويقول الكاتب أيضا :

« أتعرفون ذلك القانون العظيم المسمى قانون الإيمان الرسولى » الذى يتبدى بالقول « أنا أومن بآله واحد . . . » الذى تتألف منه عقيدة الكنيسة ؟

(١) هى خطبة ألقاها المسيح من فوق جبل قرون حطين . انظر إلى الأصحاح الخامس والسادس والسابع من إنجيل متى ، وهذه الخطبة أو الموعظة هى لبّ الديانة المسيحية التى جاءت لتصحيح ما أدخله اليهود على الدين من تحريف وانحراف .

إنه لمن المحزن حقاً أن في محاولة تقرير هذا القانون وغيره من قوانين الإيمان ، قد انقسمت الكنيسة على نفسها ، وقد وقعت اضطهادات نارية محرقة على الكنيسة ، ومن الكنيسة ، على قوم آخرين في الكنيسة ، مع أنهم لو اتفقوا على القول : إن خلاصة قوانين الإيمان المسيحية قد حواها كلام المسيح في الموعظة على الجبل ، لما اختلف في قانون المسيحية اثنان .

وقد عني المسلمون بهذه الموعظة ، كما عنا بكلمات المسيح عليه السلام ، وصاغوها صياغة جميلة ، وهي منشورة في كتب التراث العربي .

ومن هذه التعاليم ما يأتي :

● البر ثلاثة : المنطق ، والنظر ، والصمت ، فمن كان منطقته في غير ذكر فقد لغا ، ومن كان نظره في غير اعتبار فقد سها ، ومن كان صمته في غير فكر فقد لها .

● قيل لعيسى عليه السلام : من أدبك ؟ قال : ما أدبني أحد ، ولكن رأيت جهل الجاهل فجانبته .

● لا تنظروا في أعمال الناس كأرباب ، وانظروا في أعمالكم كأنكم عبيد ، فإنما الناس رجلان ، مبتلى ومعافى ، فارحموا أهل البلاء ، واحمدوا الله على العافية .

● يا بني إسرائيل : لا تتكلموا بالحكمة عند الجهال فتظلموها ، ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم ، ولا تكافئوا ظالماً فيظل فضلكم .

● يا بني إسرائيل الأمور ثلاثة : أمر تبين رشده فاتبعوه ، وأمر تبين غيه فاجتنبوه ، وأمر اختلفتم فيه فردّوه إلى الله تعالى .

- روى عن المسيح عليه السلام أنه قال ، في المال ثلاث خصال . قالوا : وما هي يا روح الله ، قال : لا يكسبه من حله ، قالوا ، فإن فعل ، قال : يمنعه من حقه ، قالوا : فإن لم يفعل ، قال : يشغله إصلاحه عن عبادة ربه .
- عبرت اليهود عيسى بن مريم بالفقر فقال : من الغنى أتيتم .
- لما بعث عيسى عليه السلام إلى بنى إسرائيل ، وضرب لهم الأمثال والحكمة ، وأظهر لهم الآيات قالوا : أليس هذا ابن النجار^(٢) أوليست أمه مريم ؟ وأخوه يعقوب ويوسف وشمعون ويهوذا ، وأخوانه كلهن عندنا ؟ فقال لهم عيسى : إنه لا يسبّ النبي ولا يحقر إلا في مدينته وبيته^(٣) .
- لانتلقوا اللؤلؤ إلى الخنازير ، فإنها لاتصنع به شيئا ، ولاتعطوا الحكمة من لا يريدّها ، فإن الحكمة أفضل من اللؤلؤ ، ومن لا يريدّها شر من الخنازير .
- إلى متى تصفون الطريق للمدجلين^(٤) ، وأنتم مقيمون مع المتحيرين ؟ إنما ينبغي من العمل القليل ، ومن العمل الكثير .
- إن أبغض العلماء إلى الله رجل يحبّ الذكر بالمغيب ، ويوسّع له في المجالس ، ويدعى إلى الطعام ، وتفرغ له المزارد^(٥) . بحق أقول لكم : إن أولئك قد أخذوا أجورهم في الدنيا ، وإن الله يضاعف لهم العذاب يوم القيامة .

(٢) في هذا تعريف من اليهود بعيسى ، لأنه ولد قبل أن تقترن أمه ببيوسف النجار وقد برأه الله ، وبرأ أمه الطاهرة البتول مما قالوا (وكان عند الله وجيبا) .

(٣) وقدما قال فرعون لموسى (ألم نريك فينا وليداً ولبثت فينا من عمرك سنين) وفي صياغة الإنجيل : لاكرامة لبني في وطنه .

(٤) المدللج : المسافر ليلاً

(٥) المزارد : جمع مزود وعاء الزاد

● سيكون في آخر الزمان علماء يزهّدون في الدنيا ولا يزهّدون ، ويرغبون في الآخرة ولا يرغبون ، ينهون عن غشيان الولاة ولا ينتهون ، يقربون الأغنياء ، ويباعدون الفقراء ، وينقبضون عند الحقراء ، وينبسطون عند الكبراء ، أولئك إخوان الشياطين وأعداء الرحمن .

● قال المسيح للحواريين : بحق أقول لكم ، إن شجر الأرض بمطر السماء تعيش وتزكو ، وكذلك القلوب بنور الحكمة تبصر وتهتدي ، بحق أقول لكم : إن من ليس عليه دين أروح وأقل همًّا ممن عليه دين وإن حسن قضاؤه ، وكذلك من لم يعمل الخطيئة أروح وأقل همًّا ممن عمل بها وإن حسنت توبته . إن الدابة تزداد على كثرة الرياضة خيرا ، وقلوبكم لا تزداد على كثرة الموعظة إلا قسوة .

● إن الجسد إذا صلح كفاه القليل من الطعام ، وإن القلب إذا صحّ كفاه القليل من الحكمة .

● كم من سراج قد أطفأته الريح ! وكم من عابد أفسده العجب !
● يا بني إسرائيل ، استمعوا قولي ، فإن مثل من يستمع قولي ثم يعمل به ، كمثل رجل حكيم أسس بنيانه على الصفا^(٦) ، فطرت السماء ، وسالت الأودية ، وضرته الرياح ، فثبت بنيانه ولم يجر^(٧) . ومثل الذي يستمع قولي ثم لا يعمل به مثل رجل سفیه أسس بنيانه على الرمل ، فطرت السماء ، وسالت الأودية ، وهاجت الريح ، فضرته فسقط بنيانه .

● يا بني إسرائيل ، ما يغني عن الأعمى سعة نور الشمس وهو لا يبصرها ،

(٦) الصفا : الأرض الصلبة .

(٧) لم يجر : لم يسقط .

وما يغنى عن العالم كله العلم وهو لا يعمل به . بحق أقول لكم : إن قائل الحكمة وسامعها شريكان ، وأولاهما بها من حققها بعمله .

بحق أقول لكم : لو وجدتم سراجا يتوقد بالقطران في ليلة مظلمة ، لاستضاءتم بنوره ولم يمنعكم منه نقر قطرانه ، فكذلك ينبغي لكم أن تأخذوا الحكمة ممن وجدتموها عنده .

● قيل : إن عيسى عليه السلام خرج على أصحابه وعليه جبة من صوف ، وكساء وتبان^(٨) ، حافيا ، مجزوز الرأس والشاربين ، باكيا ، شعثا ، مصفر اللون من الجوع ، يابس الشفتين من العطش ، طويل شعر الصدر والذراعين والساقين ، فقال : السلام عليكم يا بني إسرائيل ، أنا الذي أنزلت الدنيا منزها ، ولا عجب ولا فخر ، أتدرون أين بيتي ؟ قالوا : أين بيتك يا روح الله ؟ قال : بيتي المساجد ، وطيبى الماء ، وإدامى الجوع ، ودابتي رجلى ، وسراجي بالليل القمر ، وصلاى^(٩) فى الشتاء مشارق الشمس ، وطعامى ماتيسر ، وفلا كهنى وريحانى بقول الأرض ، ولباسى الصوف ، وشعارى الخوف ، وجلسائى الزمنى والمساكين ، أصبح وليس لى شىء وأمسى وليس لى شىء ، وأنا طيب النفس ، غنى مكث ، فن أغنى وأريح منى ؟ !

● قال له رجل من الحواريين : أتبعك حيث ذهبت ، فقال له عيسى : للثعالب جحرة^(١٠) ، ولطير السماء كنان ، وليس لابن الإنسان مكان يُسند فيه رأسه .

(٨) الثبان : سراويل صغيرة يكون للملاحين والمصارعين « شورت »

(٩) الصلا : الوقود أو النار العظيمة .

(١٠) جحرة : بكسر الجيم وفتح الحاء جمع جحر بضم الجيم وسكون الحاء وهو ما يجتره الحيوان لنفسه .

● لا تجعلوا كنوزكم في الأرض يفسدها السوس والدود وحيث ينقب السراق ، ولكن اجعلوا كنوزكم في السماء ، فإنه حيث تكون كنوزكم تكون قلوبكم .

● إن العين هي سراج الجسد ، فإذا كانت عينك صحيحة فإن جسدك كله مضيء .

● إنه لا يستطيع أحد أن يعمل لرتين اثنين إلا أن يحب أحدهما ويغض الآخر ، ويوقر أحدهما ويهين الآخر ، فكذلك لا يستطيعون أن يعملوا لله والمال .
● لا يهمنكم ما تأكلون وما تشربون وما تلبسون ، أليست النفس أفضل من

الطعام ؟ والجسد أفضل من اللباس ؟

انظروا إلى طيور السماء ، فإنهم لا يزرعون ولا يحدنون ولا يجمعون في الأهراء^(١١) ، وأبوكم الذي في السماء هو الذي يرزقهم ، أفلمستم أفضل منهن ؟ ؟

● أبكمم الذي إذا جهد قدر أن يزيد في طوله ذراعًا واحدًا ؟ ! فلم تهتمون باللباس ؟ اعتبروا بسوس البرية^(١٢) ، فإنه لا يعمل ولا يغزل ، أنا أقول : إن سليمان بوقاره لم يستطع أن يلبس كواحدة منه . فإذا كان الله يلبس عشب الأرض الذي ينبت اليوم ويلقى في النار غدا ، أفلمستم يا قليلي الإيمان أفضل منه ؟ ؟

● لا تهتموا فتقولوا : ماذا نأكل ؟ وماذا نشرب ؟ وماذا نلبس ؟ فإنه إنما يهتم بذلك ابن الدنيا ، وإن أباكم الذي في السماء يعلم أن ذلك ينبغي لكم ،

(١١) الأهراء : مخازن الطعام .

(١٢) في الإنجيل . زنايا الحقل .

فابدهوا فالتمسوا ملكوت الله وصدّيقته^(١٣) ، فإنكم سوف تكفون ، ولا يهمنكم ما في غد ، فإنَّ غداً مكفّر بهمه ، وحسب اليوم شره .

● كما تدينون تدانون ، وبالمكيال الذى تكيلون يكال لكم .

● كيف تبصر القذاة فى عين أخيك ، ولا تبصر السارية فى عينك ؟ !

● لاتعطوا الكلاب القدس ، ولا تلقوا لؤلؤكم للخنازير ، سلوا تعطوا ،

وابتغوا تجدوا ، واستفتحوا يفتح لكم ، وانظروا الذى تحبون أن يأتى الناس إليكم فأتوا إليهم مثله .

● ادخلوا الباب الضيق ، فإن الباب والطريق إلى الملكة عريضان ،

والذين يسلكونها كثير ، وما أضيق الباب والطريق اللذين يبلغان إلى الحياة ! !

والذين يسلكونها قليل^(١٤) ! !

● الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها .

● أنا الذى كفأت الدنيا على وجهها ، فليست لى زوجة تموت ، ولايت

ينحرب !

● قال له رجل من الخواريين : أتأذن لى أن أدفن أبى ؟ فقال له : دع

الموتى يدفنون موتاهم ، واتبعنى .

● خرج المسيح من بيت امرأة مومس ، فقبل له : ياروح الله ، ماتصنع

عند هذه ! فقال : إنما يأتى الطبيب إلى المرضى .

(١٣) الصديقة : درجة أعلى من الولاية وأقل من النبوة .

(١٤) الباب الضيق : باب الخلاص والنجاة والمراد أن طريق الحق مفروش بالآلام والأشواك ، وأن

باب النجاة ضيق لا ينفذ منه إلا من خفف من أحماله ، وأهزل نفسه ، حتى يستطيع ولوج هذا الباب ، وهذا بمثل الحديث النبوى الشريف « حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات » .

● النظر يزرع في القلب الشهوة ، وكفى بها خطيئة (١٥) .

● سأل الحواريون عيسى عليه السلام فقالوا : يا روح الله ، من هم أولياء الله ؟ فقال : هم الذين نظروا إلى باطن الدنيا حين نظر الناس إلى ظاهرها ، وإلى آجل الدنيا حين نظر الناس إلى عاجلها ، فأमतوا منها ما خشوا أن يميتهم ، وتركوا منها ما علموا أن سيتركهم ، فصار استكثارهم منها استقلالاً ، وفرحهم بما أصابوا منها حزناً ، فما عارضهم من نائلها رفضوه ، وما عارضهم من ربيعها بغير الحق وضعوه ، فهم أعداء ما سالم الناس ، وسلم ما عادوا ، خلقت (١٦) الدنيا عندهم ، فليس يعمرونها ، وماتت في قلوبهم فليس يحبونها ، يهدمونها وينون بها آخرتهم ، ويبيعونها ويشترون بها ما يبق لهم . ونظروا إلى أهلها صرعى قد خلعت منهم المثلثات (١٧) فأحيوا ذكر الموت ، وأमतوا ذكرى الحياة . بهم نطق الكتاب ، وبه نطقوا ، وبهم عُلم الكتاب ، وبه عملوا . لا يرون نائلاً (١٨) مع مانالوا ، ولا أمناً دون ما يرجون ، ولا خوفاً دون ما يحذرون .

● جاء في إنجيل متى : سمعتم أنه قيل : عين بعين ، وسنّ بسنّ ، وأما أنا فأقول لكم : لا تقاوموا الشر ، بل من لطمك على خدك الأيمن فحوّل له الآخر أيضاً . ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضاً .
● سمعتم أنه قيل : تحبّ قريبك ، وتبغض عدوك ، وأما أنا فأقول لكم :

(١٥) يقول الرسول ﷺ : العيان ترين ، وزناهما النظر .

(١٦) خلقت : بليت .

(١٧) المثلث : جمع مثلة بفتح الميم وضم الناء فيها ، والمثلة الحدث الذي يقع فيكون مثلاً مضروباً ، ويطلب أن يكون ذلك في الأمور السيئة .

(١٨) النائل والنوال : العطاء .

أحبوا أعداءكم ، باركوا لاعنيكم ، أحسنوا إلى مبغضيكم ، وصلوا من أجل
الذين يسيئون إليكم ويطغدونكم (١٩) .

(١٩) وهذا هو الأقنوم الحق الذي ينبغي للمسيحية أن تملك به ، فالسبح عليه السلام لم يأت
بلاهورث جديد ، وكانت دعوة جميع الأنبياء أن اعبدوا الله مالهكم من إله غيره ، وإنما جاء بأقنوم المحبة ،
وجعلها للقريب والغريب والصديق والعدو على السواء ، وكان يخاطب قوما بيست مشاعرهم وجفت
قلوبهم وقست ، فهي كالحجارة أو أشد قسوة ، وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار ، وإن منها لما يشقق
فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله ، والمحبة أيضا مبدأ من مبادئ الإسلام ، بقول تبارك
وتعالى (ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن ، فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي
حميم . وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم) والله درّ ابن عربى حيث يقول :

لقد صار قلبي قابلا كل صورة	فرعى لغزلان ودير لرهبان
وبيت لأوثان وكعبة طائف	والواح نورا ومصحف قرآن
أدين بدين الحب أتى توجهت	ركائبه فالحب دبنى وإيمانى

محمد ﷺ

محمد ﷺ خاتم الرسل والأنبياء ، المبعوث رحمة للعالمين ، والذي أثنى عليه ربه بقوله تعالى : (وإنا لك لعلی خلق عظیم) .

قال الجاحظ في كتابه « البيان والتبيين » يصف كلامه ﷺ :
 « وهو الكلام الذي قلّ عدد حروفه ، وكثرت معانيه ، وجلّ عن الصنعة ، وترّه عن التكلّف ، وكان كما قال الله تبارك وتعالى (وما أنا من المتكلمين) فكيف وقد عاب التشديق ^(١) ، وجانب أصحاب التّغيب ^(٢) ، واستعمل المبسوط في موضع البسط ، والمقصور في موضع القصر ، وهجر الغريب الوحشي ، ورغب عن الهجين السوفى ، فلم ينطق إلا عن ميراث حكمة ، ولم يتكلم إلا بكلام قد حُفّ بالعصمة ، وشُيّد بالتأييد ، ويُسّر بالتوفيق . وهو الكلام الذي أثنى الله عليه المحبة ، وغشاه بالقبول ، وجمع له بين المهابة والحلاوة ، وبين حسن الإفهام ، وقلة عدد الكلام ، مع استغنائه عن إعادته ، وقلة حاجة السامع إلى معاودته ، لم تسقط له كلمة ، ولازلت به قدم ، ولابارت له حجة ، ولم يقم له خصم ، ولاأفحمه خطيب ، بل يبذ الخطب الطوال بالكلم القصار ، ولايلتمس إسكات الخصم إلا بما يعرفه الخصم ، ولايجتج إلا

(١) التشديق والتشديق : إخراج الكلام من جانب الفم .

(٢) التّغيب والتّغيب : أن يتكلم بأقصى قعره .

بالصدق ، ولا يطلب الفلج^(٣) إلا بالحق ، ولا يستعين بالخلافة^(٤) ،
ولا يستعمل المواربة ، ولا يهزم ولا يلزم^(٥) ، ولا يبطئ ولا يعجل ، ولا يسهب
ولا يمحصر^(٦) ثم لم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعاً ، ولا أقصد لفظاً ،
ولا أعدل وزناً ، ولا أنجل مذهباً ، ولا أكرم مطلباً ، ولا أحسن موقعاً ،
ولا أسهل مخرجاً ، ولا أفصح معنى ، ولا أبين في فحوى^(٧) من كلامه ﷺ .
ويقول الأستاذ مصطفى صادق الرافعي عن بلاغة الرسول عليه السلام :
« هذه هي البلاغة الإنسانية التي سجدت الأفكار لآيتها ، وحسرت العقول
دون غابتها ، لم تصنع وهي من الإحكام كأنها مصنوعة ، ولم يتكلف لها وهي
على السهولة بعيدة ممنوعة .

الفاظ النبوة ، يعمرها قلب متصل بجلال خالقه ، ويصقلها لسان نزل عليه
القرآن بجفافه ، بحكمة الفصول حتى ليس فيها عروة مفصولة ، محدوفة الفصول
حتى ليس فيها كلمة مفصولة ، وكأنما هي في اختصارها وإفادتها نبض يتكلم ،
وإنما هي في سموها وإجادتها مظهر من خواطره صلى الله عليه وسلم .
إن خرجت في الموعظة فهي أنين من فؤاد مجروح ، وإن راعت بالحكمة قلت
صورة إنسانية من الروح ، في متزع بلين فينفر الدموع ، ويشتد فيترو بالدماء .
وإذا أراك القرآن أنه خطاب السماء للأرض ، أراك كلامه ﷺ أنه
خطاب الأرض للسماء .

(٣) الفلج : الفوز والغفر .

(٤) الخلافة : بكسر الخاء الخديعة باللسان .

(٥) الهزم واللمز : العيب بالإشارة .

(٦) المحصر : بفتح الحاء والصاد المعنى في الكلام .

(٧) الفحوى : المعنى .

على أنه سواء في سهولة أطاعه ، وصعوبة امتناعه ، إن أخذ أبلغ الناس في ناحيته ، لم يأخذ بناصيته ، وإن نظر فيه بلا بصر صار مبصرا ، وإن جرى في معارضته انتهى مقصرا .

ونتوج كتابنا هذا بشيء من درر كلامه وبليغ حكمته :
قال عليه السلام :

- أدبني ربي فأحسن تأديبي .
- بعث لأتعم مكارم الأخلاق .
- لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه .
- إن لكل دين خلقا ، وخلق الإسلام الحياء .
- المؤمن للمؤمن كالبنيان ، يشد بعضه بعضا .
- طوبى لمن طاب كسبه ، وصلحت سريره ، وكرمت علانيته ، وعزل عن الناس شره ، طوبى لمن عمل بعلمه ، وأنفق الفضل من ماله ، وأمسك الفضل من قوله ^(٨) .
- طوبى للمخلصين ، أولئك مصابيح الهدى ، تنجلي عنهم كل فتنة ظلماء .
- إن هذا الخير خزائن ، ولتلك الخزائن مفاتيح ، فعطوي لعبد جعله الله عز وجل مفتاحا للخير ، مغلاقا للشر ، وويل لعبد جعله الله مفتاحا للشر ، مغلاقا للخير .
- أثقل ما يوضع في الميزان الخلق الحسن .

(٨) تأمل في هذه الحكم السبع تجدها قد جمعت مكارم الأخلاق في أوجز لفظ ، وفي أصغر بيان ، وكل كلامه عليه السلام حكم ودرر .

● مثل المؤمن مثل النحلة ، إن أكلت أكلت طيبا ، وإن وضعت وضعت طيبا ، وإن وقفت على عود نخر لم تكسره .

ومثل المؤمن مثل سبيكة الذهب ، إن نفخت عليها احمرّت ، وإن وزنت لم تنقص .

● رحم الله عبدا قال خيرا فغم ، أو سكت فسلم .

● المرء كثير بأخيه .

● لاتزال أمتي صالحا أمرها ، مالم تر الأمانة مغنا ، والصدقة مغرما .

● إن أحبكم إلىّ ، وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة ، أحاسنكم أخلاقا ، الموطأون أكتافا ، الذين يألفون ويؤلفون .

● لاعقل كالتدبير ، ولا ورع كالكف ، ولا حسب كحسن الخلق .

● أكثر ذكر الموت يُسلّك عن الدنيا ، وعليك بالشكر ، فإنه يزيد النعمة .

● قيدوا العلم بالكتاب .

● لاتغالوا بالنساء ، فإنهن سقيا الله .

● ارحموا عزيز قوم ذل ، ارحموا علما ضاع بين جهال .

● الأحق كالقحار ، لا يرقع ولا يشعب .

● إن الحكمة تزيد الشريف شرفا ، وترفع العبد المملوك ، حتى تجلسه

مجالس الملوك .

● أحب العفاف إلى الله عفاف الفرج والبطن .

● الحياء لا يأتي إلا بخير .

● حسن الخلق وحسن الجوار ، يعمران الديار ، ويزيدان في الأعمار .

● خير من الخير معطيه ، وشر من الشر فاعله .

- زرعها ، تزداد حبا .
- رحم الله رجلا سمحا إذا باع ، وإذا اشترى ، وإذا اقتضى .
- طاعة الشهوة داء ، وعصيانها دواء .
- عليكم ياخوان الصدق ، فإنهم زيتة في الرخاء ، وعصمة في البلاء .
- الكيس من دان نفسه ، وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها ، وتمنى على الله الأماني .
- لسان العاقل من وراء قلبه ، فإذا أراد الكلام رجع إلى قلبه ، فإن كان له تكلم ، وإن كان عليه أمسك . وقلب الجاهل من وراء لسانه ، يتكلم بكل ما عرض له .
- ليس الغنى عن كثرة العرض^(٩) ، ولكن الغنى غنى النفس .
- لولا أن الله أذل ابن آدم بثلاث ما طأطأ رأسه : الفقر والمرض والموت .
- من أصبح معافى في بدنه ، آمنا في سريته^(١٠) ، وعنده قوت يومه ، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها .
- من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه .
- المؤمن غر كريم ، والفاجر خب لئيم^(١١) .
- نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس : الصحة والفراغ .
- خذ من شبابك لهرمك ، ومن غناك لفقرك ، ومن صحتك لسقمك .
- البر ما اطمانت إليه النفس ، والإثم ما حاك في الصدر ، وخشيت أن يطلع عليه الناس .

(٩) العرض : متاع الدنيا .

(١٠) سريته : نفسه .

(١١) غر : يتخدع لأنه سهل لين ، خب : مخادع .

- خاب عبد وخسر ، لم يجعل الله في قلبه رحمة البشر .
- تعس عبد الدينار وعبد الدرهم ، تعس ولا انتعش ، وإذا شيك فلا انتقش (١٢) .
- ثلاث مهلكات : شح مطاع ، وهوى متبع ، وإعجاب المرء بنفسه .
- إن الصدق يهدي إلى البر ، والبر يهدي إلى الجنة ، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقاً ، وإن الكذب يهدي إلى الفجور ، والفجور يهدي إلى النار ، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً .
- أيها الناس : إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ، كلكم لآدم ، وآدم من تراب ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ليس لعزى فضل على عجمي إلا بالتقوى ، ألا هل بلغت ، اللهم فاشهد .
- كرم الرجل دينه ، ومروءته عقله ، وحسبه خلقه .
- ما أخلص عبد العمل لله أربعين يوماً إلا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه .
- من أسرع به عمله لم يبطئ به حسبه ، ومن أبطأ به عمله لم يسرع به حسبه .
- صاحب رقعة في الثوب ، فلينظر الإنسان بم يرفع ثوبه .
- حصنوا أموالكم بالزكاة ، وداووا مرضاكم بالصدقة ، واستقبلوا البلاء بالدعاء .
- رأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات (١٢) شيك : أصابه شوكه . انتقش : خرجت شوكته بالمنقاش ، وهذا دعاء من الرسول على عبید المال بالتعاسة والشقاء .

مانقولون : يبقى ذلك من درنه شيئا ؟ قالوا : لا يبقى ذلك من درنه شيئا ، قال : فذلك مثل الصلوات الخمس يحو الله بها الخطايا .

صلى عليك الله يا رسول الله ، يا من شهد بفضلك العدو قبل الصديق ، ولعل من الموافقات العجيبة ، وأنا أفكر في وضع خاتمة لهذا الفصل الذي هو خاتمة الكتاب أن تكون أمامي الآن صحيفة الأخبار بتاريخ أول نوفمبر سنة ١٩٧٨ ، وأن أقرأ في صفحتها الأولى هذا الخبر المنشور تحت عنوان : مؤرخ أمريكي يؤكد : النبي محمد أعظم شخصية في التاريخ يقول الخبر : أكد المؤرخ الأمريكي مايكل هارت الأستاذ بجامعة ترينيتي تكساس أن النبي محمدا عليه الصلاة والسلام أعظم شخصية في التاريخ . وقد أعد في كتابه الذي أثار ضجة قائمة بأسماء مائة شخص هم أبرز من تركوا بصماتهم على التاريخ . وقد اختار المؤرخ الأمريكي النبي محمدا عليه الصلاة والسلام على رأس القائمة ، نظرا للتأثير الديني والزمني للدين الإسلامي (١٣) »

وليس الأستاذ مايكل هارت وحده هو الذي أدلى بمثل هذه الشهادة ، فقد سبقه كثير من المستشرقين المتصفين الذين صدغوا بكلمة الحق ، نذكر منهم هنا البروفيسور ستوبارت الذي قال :

« إنه لا يوجد مثال واحد في التاريخ الإنساني بأكمله يقارب شخصية محمد . ألا ما أقل ما امتلكه من الوسائل المادية ! وما أعظم ما جاء به من البطولات النادرة ، ولو أننا درسنا التاريخ من هذه الناحية ، فلن نجد فيه اسما منيرا هذا النور ، وواضحا هذا الوضوح غير اسم النبي العربي » .

(١٣) وهذا الكتاب تنشره الآن مجلة أكتوبر على حلقات أسبوعية بقلم الكاتب القدير الأستاذ أنيس

ويقول البروفيسور بورسورث سميث :

« عندما ألقى نظرة إجمالية أستعرض فيها صفاته وبطولاته ، ما كان منها في بدء نبوته ، وما حدث منها فيما بعد ، وعندما أرى أصحابه الذين نفخ فيهم روح الحياة ، وكم من البطولات المعجزة أحدثوا - أجده أقدس الناس ، وأعلاهم مرتبة ، حتى إن الإنسانية لم تعرف له مثيلا » .
ويقول أيضا :

« لقد ادعى محمد لنفسه في آخر حياته نفس ما ادعاه في بداية رسالته ^(١٤) ، وإني لأجدني مدفوعا إلى الاعتقاد بأن كلا من الفلسفة العليا والمسيحية الصادقة سوف تضطران يوما ما ، إلى التسليم بأنه كان نبيا . . نبيا صادقا من عند الله »
وليس الرسول عليه الصلاة والسلام في حاجة إلى شهادة بشر ، وشهادة الله خير شهادة ، وصدق قول ربنا جل جلاله : (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، وكفى بالله شهيدا)
والحمد لله في البدء والختام .

(١٤) النبي عليه الصلاة والسلام لم يدع لنفسه شيئا لافي آخر حياته ، ولا في بداية رسالته ، بل كان رسولا صادقا من عند الله وهذا ما اعترف به هذا المفكر في ختام كلامه .

كتب للمؤلف

- ١ - أنعميم في عصور التاريخ - ١٩٥١
- ٢ - تاريخ إقليم سوهاج - ١٩٦٢
- ٣ - ذو النون المصري . دار الشروق - ١٩٧٣
- ٤ - قال الأولون . دار الشروق - ١٩٧٦
- ٥ - عبد الكريم الخطيب والثقافة الإسلامية ، دار الفكر العربي - ١٩٧٨
- ٦ - قل يا رب . دار الشروق - ١٩٧٩

رقم الإبداع	١٩٨١/٢٣٠٥
التقييم الدولي	٩٧٧-٧٣٤٦-١٦-٦
ISBN	

١/٨٠/٣٢٤

طبع بمطابع دار المعارف (ج. م. ع.)